


# الفقيه النتيفي الجعفري

## نجم أهل السنة والسلفية، ومحارب المبتدعة والطرقية
## وإمام المقاومة الزايانية

كاتبه : محمد جعفر

# الفقيه النتيفي الجعفري

## نجم أهل السنة ، ومحارب المبتدعة والطرقية
## وإمام المقاومة الزايانية

# استسماح ...

أستسمحك يا والدي بكل عبارة قيلت في الاعتذار، وبكل شعر نُظم في شأنه، ولئن خانني التعبير عن الاعتذار إليك، وعن استسماح شخصك الكريم في أن أكتب عنك، فليس لي إلا أن أستعير بيت شعر قيل عنه إنه أخلب بيت شعر قيل في الاعتذار:

لا تحسبُنّ رقصي بينكم طربا*** فالطير يرقص مذبوحا من الألم

وما اعتذاري لك إلا لما اقترفته من خروج عن وصاياك، وأنت على فراش المرض قد أوصيت بأنك لاتسمح بأن يقوم أحد يخطب على رأس القبر عند الدفن وقد امتنعنا ومنعنا، وأن لا يقام أي محفل تأبين لا في الأربعين ولا في غيرها فالتزمنا، وكما قلت دعوني في أُخراي أواجه ذنوبي التي أسلفت ولا تزيدوني ذنبا على ذنب، فالتزمت بتعليماتك لأربعة عقود، عشتها في تردد بين أن أفعل وأن لا أفعل، لكنه عز عليّ - الآن - أن لا يعرف الجيل الحاضر عن عالم سني سلفي قد سلف، وعن مؤلفاته العلمية واجتهاداته الصائبة التي لا تزال حبيسة المسودات. وعن محارباته لأهل البدع الضّالة المُضلة، وعن مقارعاته للمتفرنجة وأفكارهم المائعة منها و الملحدة .وعن جهاده بالسلاح مقاتلا وإمامابين رجال المقاومة الزايانية للحملة الفرنسية .ممايحق معه أن يُنعت الشيخ برجل السيف والقلم..

وها أنا ذا اليوم وبعد أزيد من أربعين سنة خلت ، أخرُج عن طوعك، وأخالف وصيتك، أعاذني الله من أن أكون قد عققت، وأسألك من دنياي لأخراك أن تغفر لي خطيئتي هذه، فعمدت إلى الاستخارة بالله فأصبحت موطّدَ العزم على أن أفعل ،والله

المستعان، ولي بواعث ودوافع جّرأتني على ما أقدمت عليه من الكتابة عنك، ومن أهمها : ظروف الحال وقد عزّ فيها و ند ر نموذج العلماء الجهابذة الأعلام كما كانوا وكما عايشهم الرعيل السابق ،كما استشرى وانتشر ما كنتم قد أوقفتم عليه حياتكم العلمية والدعوية في محاربة الطرقية المبتدعة، والأضرحةِ وسدنتها الضالة المضللة، والصوفية المغالية المهرطقة،ولا أحد ممن يدّعي العلم والدعوة إلى السنة النبوية -في زمننا هذا- يفوه بكلمة حق في مواجهة هذه الضلالات،بـل الأدهى والأمّر أن برزت رؤوس الشياطين من مكامنها بعد ان كانت تتستر عن طقوسها اتقاء ضربات علماء السنة تاريخ ذاك ، فأحييت المواسم على الأضرحة ما كان منها وما لم يكن، وشُجعت وحُقق لها الأمن حتى توتي منكراتها في سلام، وتحدثت عنها أبواق الدعاية المقروءة والمسموعة والمنظورة على أنها إحياء لتقاليد من التراث الإسلامي و ما هي من الإسلام الحنيف في شيء، و لا تمت إليه بأي صلة قط.وهو منها براء.

أفلا يكون هذا شفيعا لي لديك لأن أكتب لهذا الشعب المسلم عن أحد مناصري السنة النبوية الصحيحة والسلفية الإسلامية الصالحة، رائدي في ذالك قوله جل علاه: « وذكـر فـإن الـذكـرى تنفع الـمـؤمنيـن» وقـولـه» فـذكـر إن نفعت الذكرى» صدق الله العظيم.

ولتطمئن كل الاطمئنان في أن أنقل عنك الحقائق لاكما هي بل أقل مما هي، دون تزيّد أو مبالغات أو محسنات، والله على ما أقول وكيل.

وهدفي من هذا أن ينتفع به مطلق قارئ ،وبالخصوص قارؤوها من الضالين أو المضلّلين عله يرعوي ويؤوب إلى المحَجة البيضاء ،ويكون النفع بك حيا وميتا . فتُؤْجر وُتسْتظلّ بعرش الرحمن -بمشيئته تعالى- عما تركت من علم ينتفع به ،وهو ولي التوفيق،وأسأله تعالى أن يسبل عليك شآبيب الرحمة والرضوان، انه سميع مجيب.

# التعريف بالشيخ

## المولد والموطن والنشأة

الشيخ هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النتيفي أصلا الجعفري نسبا البيضاوي موطنا، ولد عام 1303 هـ الموافق لعام 1885 م، وكان مولده بقرية تدعى «فم الجمعة» من تراب قبيلة هنتيفة، وهي قبيلة تتأخم حدودها كلا من قبائل آيت عتاب ودمنات والسراغنة، ويتوسط موقعها الطريق الرابطة بين مراكش وبني ملال، وهي اليوم تابعة لإقليم أزيلال، ومن أكبر مراكزها القروية أبزو، وفم الجمعة، وتنانت، ومن أهم معالمها الطبيعية والسياحية المشهورة «شلال أوزود «الخلاب، و بفخد من فم الجمعة يدعى «المقاديد» عاش أسلاف الشيخ وبه مسقط رأسه، وهو دوّار يحمل اسما عربيا ويتكلم أهله اللهجة العربية الدارجة على خلاف أهالي القبيلة الذين يتكلمون اللهجة البربرية الأقرب الى السوسية ،وهذا التمييز عن باقي أهالي القبيلة الواحدة آت من استيطان بعض المهاجرين العرب الأشراف لقرية فم الجمعة، وهو ما نتناوله عند ذكر نسب الشيخ. وقد ولد الشيخ في وسط اجتماعي خال من كل فضيلة إلا من رحم الله، إذ كان أغلب السكان-تاريخذاك-مشغولين بالفتن والنهب شأن عموم المغرب فيما يعرف«بالسيبة» أي التسيب وعدم الانقياد للحكم، وقد كان ظالما، عدا ما كانت عليه الطبيعة من شحّ المطر. إذ عرفت البلد الفينة بعد الأخرى مجاعات و أوبئة، ومن الناحية الدينية فغالبا ماكان الناس أبعد عنه، إذ شاعت بينهم المعتقدات الفاسدة، وضعف الوازع الديني لديهم، وحتى المتدينون منهم سيطرت على عقولهم الخرافات والأوهام والخزعبلات، ففي هذه البيئة وهذا المحيط ولد الشيخ وعاش تلك الحال لفترة قصيرة من طفولته، ولعله لهدي إلاَهي مبكر لما سيصبح عليه هذا الطفل

في رشده حربا عوانا على الضلالات، ففي موضوعه تحضرني واقعة حكاها الشيخ ومجملها أن اجتمع الناس على بقعة صغيرة من أرض السوق وهي جافة، بينما الأمطار كانت قد هطلت بغزارة، فأخذوا يتخاطفون أتربة تلك البقعة تبركا، زاعمين أن مولاي عبد القادر الجيلالي كان جالسا بها فانحجب عنها البلل، وفي إبانه والشيخ على صغره وذكائه المبكر ومن توفيق الله له. تساءل في نفسه أن لماذا لا تكون بهيمة ما كانت جاثمة بالبقعة تلك أو ميْتة فحجبت عنها البلل.

ومن جهة أسرة الشيخ فقد كانت أسرة فقيرة عائلها والد الشيخ، وكان رجلا متدينا حافظا للقرآن الكريم،ومريداً من مريدي الطريقة «الجيلالية» القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادرالجيلاني، يكسب عيشه من شجيرات معدودة من أشجار الزيتون واللوز ومن زراعة حقول فلاحية صغيرة، وكان والد الشيخ أشد حرصا على تعليم ابنه وتحفيظه القرآن الكريم وهو ابن أربع سنوات من عمره، يغدو به ويروح من وإلى الكُتّاب القرآني بمسجد القرية ،وكم كان يعيب عليه البعض ذلك، وينصحون له بالاستعانة بالولد في فلاحته، وكان البعض الآخر يهزأ من أخذه الولد إلى الكُتاب، فلم يُثن ذالك الوالد عن عزمه في تحفيظ فلذة كبده كتاب الله .

## شجرة نسب الشيخ

فالشيخ ينتهي نسبه الى عثمان بن ناصر الذي يتصل نسبه بجعفر الطيار بن ابي طالب وهو أخو علي كرم الله وجهه.

وقد أثبت المؤرخون للأنساب والسلالات المغاربة ومنهم الشيخ أبو علي الحسن اليوسي والعلامة أحمد بن عبد القادر التساوتي، والمؤرخ السيد أحمد الناصري في كتابه « طلعة المشتري في النسب الجعفري»، أثبتوا أن عثمان بن ناصر له أولاد منهم عمرو الذي ينتهي إليه نسب الشيخ محمد بن ناصر الدرعي شيخ الطريقة الناصرية ودفين تمكروت( زاكورة)، ومن أولاده كذلك علي بن عثمان الذي هاجر من وادي

دادس ليستوطن في قبيلة هنتيفة بقرية «فم الجمعة»، وقد خلّف بها من الأولاد ما تناسل فأصبحوا يدعون بالمقاديد، وعلي بن عثمان هذا دفين في الحدود الفاصلة بين قبيلة هنتيفة و قبيلة السراغنة، ولا يزال ضريحه قائما وشاهدا حتى الآن. وبذلك يكون عمود نسب الشيخ هو الآتي ،والله أعلم:

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن المقداد بن عبد الله بن عبد الكريم بن عبد القادر بن محمد بن علي بن عثمان (نزيل هنتيفة)ابن ناصر بن أحمد بن علي بن سليم بن عمرو بن أبي بكر بن المقداد بن إبراهيم بن سليم بن حريز بن حبيش بن كلاب بن أبي كلاب ابن إبراهيم بن أحمد بن حامد بن عقيل بن معقل بن الهراج بن محمد بن جعفر الأمير بن إبراهيم ابن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعلي الزنيبي هو ابن زينب بنت فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب، وكانت زينب زوجةً لابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وولدها علي هو الجد الأعلى للشيخ بناصروللجعفريين عامة، ورغمه، فشيخنا لم يكن يحفل لذلك ويترك العمل اتكالا على شرف النسب:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا *** ليس الفتى من يقول كان أبي.

وكان يرد على الغلاة في مباهاتهم بأنسابهم و ذلك بالكثير من الحجج الدامغة، ومنها أن المرء لا تشفع له عند لقاء ربه إلا الأعمال الصالحة وليس الأنساب الشريفة، وفي الحديث: » يافاطمة، اعملي لما عند الله فإني لن أغني عنك من الله شيئا. «وأن لا شرف إلاّ شرف العلم والتقوى، ومن مجمل ردوده كذلك الاستشهاد بالبيت التالي:

بنونا بنو أبنائنـا وبناتنـا ***بنوهن أبناء الرجـال الأباعـد

وأنه لحكمة إلاهية أنجب الرسول الولد الذكر و أخذه الله إليه لحكمة اقتضاها، وإلا لعبد المسلمون أحفاد الرسول أكثر مما فعلوا الآن مع الأسباط. وفي الحديث الشريف أن لافرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، وهو مثال رائع لسواسية الإسلام ونبذه للعنصرية والطبقية

لقد رفع الاسلام سلمان فارس ** وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

ومن غير إغراق في الموضوع فللشيخ مؤلف في هذا الباب يشفي الغليل وقد أسماه «البراهين البيّنات، في أن الأنساب ظنيات لا قطعيات»، وفيه الإقناع الحاسم بسداد رأيه في ذالك.

يقولون نسل المرء يحيا بذكره *** و ليس له ذكر إذا لم يكن له نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي *** فإن لـم يكن نسل فإنا بها نسل.

## دراساته على مختلف مشاييخ العلم

### أ-النزوح الى سطات، وتلقيه دراسته الأولية:

تحت وطأة الجدب والمجاعة التي حلت بالبلاد والشيخ في سن السابعة رحلت الأسرة عن موطنها، وقد أستقر بها المقام بقرية سطات يومذاك، وبها أنكب الشيخ على حفظ القرآن الكريم، وأحدق القراءات السبع لأقل من سنة، وذلك بحافز من والده الذي حرك همته بإخباره أن زميلا للشيخ بكُتاب فم الجمعة قد أحذق القراءات السبع، ولما اَستقصى الشيخ أخبار هذا الزميل-بعد-وجده لم يحصل على ما قيل عنه. وبعد حفظه لكتاب الله وبرغبة من والده وقد طمح في أن يصبح ابنه البكر يوما ما فقيه علم، ألحقه بحلقات دروس الشيخ أبي شعيب البهلولي، وكان شيخ علم وتقوى يدرّس لطلبته مختلف الفنون والعلوم، كماكان قويّ الفراسة إذ تفرّس في شيخنا كل خير، فلا يفتر عن التنويه به، وتبشيره بمستقبل علمي زاهر، ويقربه منه ويخصه بالدعاء والحظوة، «إذا أشرقت البدايات أشرقت النهايات»، وخلال سني الدراسة هاجم «سطات» غوغاء الأعراب من القبائل المجاورة لسطات فنهبوا وذبحوا وهتكوا الحرمات، ولا أدل على همجيتهم وازدرائهم بالمقدسات، أن دخلوا الجامع فنهبوه ودنّسوا فضاءه بقضاء حاجاتهم دون مراعاة لحرمة المسجد.

لا يصلح القوم فوضى لاسراة لهم ** ولا سراة لهم إذا جهّا لهم سادوا

وقد فرّ من وجههم الشيخ البهلولي بأهل داره خوفا من بطش أولئك اللصوص، فنهبوا داره ولم تسلم من نهبهم الكتب وهم أجهل من نعالهم وأخذوا يتخاطفونها، فأخذ الشيخ الطالب هو الآخر يخطف من بينهم ما وصلت إليه يده من الكتب، وذالك خوفا منه ألايجد الشيخ البهلولي مراجع يدرس بها لطلبته، ثم ألتحق شيخنا بشيخه في محلته بقبيلة «البهالة»، وفي طريقه اعترضه قاطع طريق سلبه كل أمتعته، وهناك مكث الجميع الى أن أستقرت الأحوال بسطات، فعاد الشيخ وصحبه إليها من جديد. وخلال مقام الشيخ للدراسة لدى شيخه البهلولي، كان قد قرّ عزم السلطان تاريخذاك على إرسال بعثة من أذكياء الطلبة للدراسة بفرنسا، فكان شيخنا من بين المرشحين، غير ان ظروف الحملة الفرنسية لفرض الحماية على المغرب حالت دون الإنجاز.

وعن الشيخ البهلولي أخذ شيخنا طيلة مقامه بسطات دروسه الأولية في مختلف العلوم العربية والإسلامية، ومن الشيخ البهلولي تأثر شيخنا بالطريقة الكتانية إرضاءاً لشيخه الذي كان كتّانيا حتى النخاع، وحصل أن ناهض البوعزاوي شيخ الطريقة البوعزاوية الطريقة الكتانية وخطأ أورادها، فما كان من الشيخ البهلولي إلاّ أن راسل الشيخ سيدي أحمد بن جعفر الكتاني في شأنه، وأمدّه بنسخة من كتابة للبوعزاوي بالطعن في ورد الكتاني، فكان أن ردّ الشيخ الكتاني برسالة أسماها «الكيد الكاوي في قلب البوعزاوي» فقامت القائمة بين الطريقتين في سطات ونواحيها وهي معقل الطريقة البوعزاوية، ولم يهدأ أوارها إلابعد حين .

## ب- رحيل الشيخ الى فاس للإلتحاق بجامع القرويين:

وفي أوائل القرن العشرين الميلادي ودع الشيخ والديه اللذين أخذا طريق الرجعة الى موطنهما بهنتيفة، وأخذ هو طريقه إلى مدينة فاس العاصمة الحضارية والمنارة العلمية بمغرب ذالكم التاريخ، وذالك لطلب المزيد من المعرفة والعلم، والأخذ عن رجالات العلم بالقرويين، فما وصل فاسا إلا بعد اللتي والُّلتيا، وذلك بسبب الفوضى العارمة

الضاربة أطنابها في كل أصقاع المغرب حينذاك، فكم من مرة تعرض له اللصوص وقطاع الطريق، وكم احتمى برؤساء القبائل ووجهائها، وكم من أتاوات أداها رغما لحماة الطريق (الكساة)، ولم يتنفس الصعداء إلا بحلوله مدينة فاس، وقد تيسر له الحصول على سكن بالمدرسة المصباحية، فلزم الشيخ حلقات الدرس للنهل من ينابيع مختلف العلوم بمجالس مشاييخ العلماء الأجلاء، ومنهم العلامة السيد الفاطمي الشرادي، والعلامة الفقيه السيد محمد التهامي كنون، والعلامة ابو عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج السلمي، والعلامة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني والعلامة أبو العباس السيد أحمد بن الخياط، والعلامة أبو محمد عبدالله الفضيلي، والشيخ أبو محمد عبد الكبير الكتاني، وغيرهم تغمدهم الله جميعا بواسع رحمته.

وقد أجازه أغلب هؤلاء العلماء المذكورين أعلاه ،ومن غيرهم الشيخ أبو شعيب البهلولي، والشيخ عبد الحي الكتاني، والشيخ أبو شعيب الدكالي.وكانت تلك الإجازات مستنسخة لدى الشيخ بخط مغربي جميل وفي دفتر كبير معنون بالفهرست، وهو الآن مفتقد لا تدرى أي يد امتدت اليه، وأذكر وأنا جد صغير أن أستكتبني الشيخ الوالد – إملاءمنه– على طرة إجازة الشيخ عبد الحي الكتاني ملاحظة هذا مضمونها، أن الشيخ أستجازه لما كان على هدى من الله قبل أن ينقلب حاله الى موالاته للنصارى، وكان في مجالسه إذا روى حديثا بسند الكتاني لايذكره إلابشيخ اهل فـاس .

## ج–صلة الرحم بالأهل، وحضوره واقعة «تدّارت»بالدار البيضاء:

وخلال سنة 1323 هـ – 1905 م غادر الشيخ فاسا في زيارة لشيخه أبي شعيب البهلولي ووالديه، وبوصوله الى سطات أصطحبه الشيخ البهلولي معه إلى مراكش، إذ أصبح البهلولي يؤم الصلاة بالسلطان ، وقد مكث الشيخ بمراكش في ضيافة شيخه نحو شهر، ألقى خلاله دروسا بجامع ابن يوسف، ومن مراكش سافر الى هنتيفة لصلة الرحم بوالديه،وقد طال به المقام بينهم وبعد الزيارة والتزود بالدعوات الصالحة منهما فارق أهله قاصدا فاسا من جديد، ومعرّجا على الدار البيضاء، وبوصوله الى تدارت ضريح سيدي مسعود(المطل على المدينة) ألفى الخيام مضروبة والخيول مسوّمة، وقد

تجمع بها رجال من قبائل الشاوية ودكالة ومن أنضاف إليهم وهم في هرج ومرج ،وذالك منهم لمقاومةإحتلال الحملة الفرنسية للدار البيضاء وتقدمها نحو أرباضها اثر واقعة تخريب سكة القطار الفرنسي وتحطيمه،وكان الأمر سنة 1907،فلا استعداد ولا عدة، ولانظام ولادُربة لهذه الجموع، غرّتهم عنجهيتهم وكثرتهم فأستهانوا بشوكة العدو الكاسح وأسلحته المتطورة، فكانوا يبيتون على سماع المعازف واللهو، فما هي إلا عشية وضحاها حتى غشيتهم الجيوش على حين غرة ،وأصلتهم نيران المدافع فلم تقو الجموع على الرد، بل تفرقت شذر مذر، وقد تركوا وراءهم قتلى وجرحى عدا الأمتعة والدواب، وكان الشيخ عند المداهمة يصلي صلاة الضحى، فلم يسعه إلا أن يقفز على ظهرحصان سائب، امتطاه وأسرع به بعيدا عن المخيم ، وبعد هدوء الحال عاد الشيخ أدراجه ليغيرطريقه إلى فاس، فأتجه نحو تادلة قاصدا الى فاس عبر الطريق الجبلية للأطلس المتوسط مرورًابمدينة خنيفرة.

## د-لطائف وألطاف أثناء الـمُقام بفاس:

وتحضرني لطائف وألطاف حدثت للشيخ أثناء مقامه بفاس أسوق إثنتين منها للذكرى والعبرة:

أ- فحسب ما سبق معرفته عن طموح والد الشيخ ورغبته في أن يصبح ابنه فقيها، فقد راسله مرة ينصحه فيها بالصبر والجد في الدرس وألا يسأم و يمل، ثم جاء ته - بعد حين- رسالة ثانية من البلد لكن بإلهام منه تعالى وحسن توفيقه أن توجّس الشيخ خيفة من فضّها، حتى لا يطّلع على ما يصرفه عن إتمام دراسته، ويستدعيه للرحيل، فترك الرسالة جانبا إلى أن حلّت العطلة الدراسية بفصل الصيف، فأقدم على الرسالة يفضها ليفاجأ بخبر نعي والده رحمه الله، فكان ما توقع و «قلب المؤمن خبير»

ب-ومنها كذلك أن كان الشيخ كأي طالب من طلبة القرويين يتسلم كل يوم « الخبزة « وأنّى له أن يجد ما يشبع جوعته، وكم كان أحوج الى غذاء مقوٍ مع صيام رمضان الكريم، وقد وافق -آنذاك - فصل الشتاء وناهيكم بزمهرير فاس شتاءا، فقيّض الله للشيخ الطالب محسنا التزم بأن يمده بشربة «الحريرة»لكنه اشترط عليه أن إذا

تأخروقد أذن للمغرب فلا يزعجهم بطرق الباب وقد أضاع »الحريرة«، ويوما ما وهو يسرع الخطا بين »طالعات « فاس إذفوجئ بأذان المغرب، فأسر في نفسه يا رب أصلاتي أم حريرتي، فحسم الأمر بتقديم الصلاة، وبعدها أسرع للحاق طمعاً في الحريرة، لكنه ما أن توسط الطريق حتى تذكر أن قد نسي السجادة «اللبدة» بالمسجد وهي التي تحميه من برد أرض جامع القرويين بمجالس الدرس، وناهيك بقرِّ فَاسَ، ومن أين له ما يشتري به «لبدة جديدة» إذا ما أضاع تلك وهو على ما هو عليه من الفاقة، فعاد أدراجه ليجدها في مكانها فأخذها واستأنف السير الى دار المحسن دون أن ييأس، وبوصوله لم يجرؤ على طرق الباب تنفيذا للشرط، وإنما بقي متسمّرا أمامه ينتظر فرج الله، وبينما هو كذلك إذأطل عليه رب المنزل وهو يعتذر للشيخ عن هذا التأخير في طهي الحريرة، فتنفس الشيخ الصعداء، وعلى عكس السابق فقد قُدمت للشيخ الحريرة ومعها على غير عادة صحن من »الخليع «(القديد المطبوخ)المجلل بالبيض ومعه الخبز، فحمد الشيخ الله تعالى على كرمه ومزيد إحسانه «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب»

## الإقامة بخنيفرة (تدريس ومقاومة)

قبيلة زايان من أكبر القبائل البربرية بسلسلة جبال الأطلس المتوسط، وهي قبيلة لها وزنها التاريخي في الزعامة بين قبائل الأطلس المتوسط، ويقال عن تسميتهاوالله أعلم انه تحريف لكلمة «ضايان «وهو باللهجة العامية تثنية لكلمة (ضايا= بحيرة)، وفعلا ففي تراب هذه القبيلة بحيرتان جميلتان تحفهما طبيعة خلابة من غابات الأرز السامق، واسمهما بالبربرية «اكلمام أزكرا» أي البحيرة الخضراء وهي تبعد عن خنيفرة ب 35كيلومترا ،و»اكلمام سيدي علي» بالطريق الرابطة بين أزرو وميدلت، وعاصمة زايان»خنيفرة «وقد قيل عن تسميتها» خنفر ارياز»أي أنها تضرب (الخنافر)الأنوف، وذالك كناية عن جبروت وكبرياء أعيانها، فلا يمر بها عدوّ أو غريب إلا وأصابوه في خنافره، كناية عن قهره و غلبته.

وخنيفرة تتوسط الطريق بين فاس وتادلة، وهي عاصمة الاطلس المتوسط و معقل القائد موحا اوحمو بطل من أبطال المقاومة المغربية للاجتياح الفرنسي، والذي لم يستسلم رغم الخيانات حتى من حميم أقربائه. و بقي على استعصائه حتى أُستشهد على يد أقرب الأقربين إليه الذين انضموا إلى المستعمر، فكان أن نزل بها الشيخ في طريقه من فاس قاصدا مسقط رأسه، لزيارة أمه وإخوته، وقد استضافه رفيق له في الدراسة بالقرويين وهو من ساكنة خنيفرة، ويدعى السيد صالح الرواضي فما كان من هذا الرفيق ولما يعلمه من نبوغ الشيخ في العلم إلا أن أشار عليه بالإقامة بتلكم الديار، بعلة أن ليس بها فقيه بأمور الدين عدا بعض القراء من حفظة القرآن الكريم، ولافتقار الناس لمن يفتيهم في أمور دينهم، فتعلّل الشيخ بأنه في حاجة الى زيارة أمه وإخوته للاطلاع على أحوالهم، سيما بعد وفاة الوالد، لكن الرفيق الصالح التزم بأن يذهب هو ورفاق له ليقدموا بالأم وأبنائها الى خنيفرة وما على الشيخ إلا البقاء، فقبل الشيخ على مضض، ونفذ الرفيق المشير ما وعد، إذ سافر الى حيث الوالدة لكنها امتنعت خوفا على صغارها من أن يكون الرسل من النخاسة الذين يخطفون الصغار ويتاجرون بهم، فعاد الرسول الى الشيخ بخف حنين، ورغمه فقد أطمأن الشيخ على أحوال والدته واخوته، وأرجأ الأمر الى حين استقرت فيه أحواله، والى أن هيأ للأسرة السكن الرحب، وسعة العيش، فحلّوا على خنيفرة حلول يُمن وسعادة، حامدين شاكرين الله جل كرمه.

أما الشيخ فقد وجد كل العون من القائد والعايدي خليفة القائد موحا أحمو وهوابن أخيه وساعده الأ يمن، إذ أمد الشيخ ببناية اتخذها مدرسة، وتتلمذ عليه الابن الأوحد للقائد المسمى محمد قايدي او العايدي، فقصده العديدون ممن هم متعطشون للدرس والتحصيل، حتى امتلأت بهم رحاب المدرسة بين مقيمين وآفاقيين، ودأب الشيخ على تلقين طلبته مختلف العلوم من قواعد اللغة والفقه والتوحيد والسيرة النبوية.. الخ، كما أصبح مقصدا لأهل البلد طلبا للفتوى في أمور دينهم، والشيخ لا يعرف كللا ولا مللا عن التدريس ليلا أونهاراً، حضراً أو سفراً، أمناً أو خوفاً، فكم من الدروس عقدت والشيخ وطلبته على ظهور الدواب قاصد ين مقاومة زحف العدو المستعمر، او منتجعين مع أفراد القبيلة فرارا من عواصف الثلج وطلبا للمرعى، وقد أصبحت

المدرسة شهيرة بين القبائل يقصدونها للاستفتاء حاملين إليها مختلف الأقوات والذبائح، ولما كان عليه الشيخ من القناعة والزهد فلم يكن يستأثر بهدايا الزوار، بل كان يقتسمها مع طلبته كواحد منهم، ومن باب الفكاهة أذكر أن أحد الطلبة نصح مرة رفاقه بأن يتعففوا عن مشاركة شيخهم فيما يمنحه إياه الزائرون المستفتون، فوقف في وجهه بعضهم معنفين إياه وناعتينه باللؤم، إذ هو يريد أن يمنع الشيخ من فعل الخير في طلبته، وما نصيحته إلانصيحة البخلاء اللئام.

ولم يكن الشيخ يكتفي في تربية تلاميذه بإصلاح الظواهر بالثقافة السطحية، بل اهتم بإصلاح البواطن بمواعظ القرآن الكريم والسيرة النبوية و أثار السلف الصالح،وإقامة الشعائر الدينية، فكان شعاره أن فائدة العلم العمل به، »قول وفعل هو الإسلام الرفيع»، وقد أحسن في تكوين وتربية طلابه، فنبغ منهم من كانوا خير أئمة يقتدى بهم علما ودينا و خلقا ، إذ تخرج منهم علماء متمكنون من ثقافتهم، وعلى هدي وسنن الاخيار، وسنأتي على ذكرأسماء بعضهم في الفصل الخاص بتلامذة الشيخ، وهكذا أمضى الشيخ سنوات إقامته في بث العلم والدعوة إلى التمسك بالدين، فكان يقوم بسياحات لذات الغرض وبصحبة تلاميذه بين القرى و دواوير ومداشير قبيلة زايان المنبتة في ثنايا جبال الاطلس المتوسط عملا بقوله تعالى « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة «وبقوله عليه السلام: «لأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس» ،ولم تنحصر مهام الشيخ في مقاومة الجهل بأمور الدين وبلغة القرآن، بل شملت مقاومة العدو الدخيل المكتسح لأقاليم المغرب إقليما تلو الآخر، فكان الشيخ وتلاميذه مسلحين بالبنادق ولايتأخرون عن ركب المجاهدين في خروجهم لمقاومة الجيش الفرنسي المهاجم، وهذا ما نفرد له فصلا خاصا في هذه الترجمة، كماكان الشيخ الى جانب مهامه تلك، وقربه أكثر من أقطاب رجال المقاومة خاصة القائد والعايدي الساعد الأيمن للقائد موحا أوحمو، والعضد الأقوى لأولعيادي ابن عمه السيد معمي بن الحاج حدو أخو القائد موحاوحموهوكذالك، فكان الشيخ الى جانبهم المستشار والمفتي، وكانوا هم على شدّتهم وجبروتهم أطوع لنصح الشيخ وفتواه ،وأجلّ لشخصه و لاحترامه،وللمثال، فمعمّى بن الحاج حدو على سمو قدره

و شهامته وبسالته وكان يهابه الجميع، يقدم أحيانا بالخيول وبالبغال الى مدرسة الشيخ ليحمل الجميع الى خيامه، فيستضيفهم بنحر الذبائح وإكرام الوِفادة أيّما إكرام، ورغبته في ذالك كسب الأجر وقهر النفس بالتواضع، فيقسم على الشيخ بأن يقوم المضيف الشهم هو بنفسه وعلى يده بحلق الرؤوس وتصفيف اللّحي للشيخ وللطلبة ، فيقوم بذلك راضياً ومعتزاً تواضعاًمنه:

ملأى السنابل تنحني تواضعاً***والفارغات رؤوسهن شوامخ

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر***على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان علا بنفسه *** إلى طبقات الجو وهو وضيع.

ولم يكن الشيخ وهو يومذاك لايزال في عنفوان شبابه إمّعةً ولا بمتملّق، بل كان لا تأخذه في الله لومة لائم حتى مع هؤلاء الكبراء الصناديد، وعلى سبيل المثال أسوق تصرفين تصرفهما الشيخ مع أشد أقطاب كبراء البلد وأخطرهم، وقد كاد أحد التصرفين أن يودي بحياته.

أ- ذات مرة والناس يتسوقون بمكان يدعى»أركو» على مبعدة 14 كلم عن خنيفرة ،بعد أن نزحوا عنها إثر احتلال الفرنسيين لها ، ضجّ السوق واختلط الحابل بالنابل، وكان السبب أن قدم على السوق أحد أبناء القائد موحا أحمو المدعو معمّي نْفاسية مع ثُلّة من صحبه وهم يحملون معهم رؤوس مجتزة لضباط فرنسيين أغتالوهم «بسيدي لامين»، وكان مركزا عسكريا بين خنيفرة وأبي الجعد، فانقسم الناس في أمره على رأيين أهو مجاهد أم غادر، وأخيرا اهتدوا الى استفتاء الشيخ، فما كان منه إلا ان أستفسر معمّي هذا أن هل كان في مواجهة معهم ؟ فأجاب بلا وأنه جاءهم هو وصحبه متظاهرين بالاِستسلام ومؤمنين للضباط من أي مكروه، ولكنهم غافلوهم فاغتالوهم وجزّوا رؤوسهم، فأجاب الشيخ بأن الفعل هذا غدر وليس جهادا، فما كان من معمي إلا أن شد على لحيته بيده-وهي حركة تهديدية- وأقسم بأنه سيقتل الشيخ لفتواه فيه، وقد فعلها مرة فلم يفلح وحفظ الله الشيخ منه. واستشهد في الواقعة أحد أنصار الشيخ

وهو يدافع عن شيخه. وقد قيل عن هذا الشهيد أنه أصيب بطلقة نارية والدم ينزف منه فلم يفتر عن إطلاق الرصاص وهو على صهوة جواده دفاعا عن شيخه، رحمه الله.

ب- وللقائد موحا أوحمو ولد آخر إسمه حسن وكان شديد المراس وطاغية لا يقيم لحياة إنسان وزنًا، وكان يهابه الجميع، وهو من سالم الحملة الفرنسية ونصّبوه باشا على مدينة خنيفرة بعد الاحتلال، ويوما ما زاره الشيخ بمعيّة طلاّبه في خيامه فاستقبلوا من طرف خدامه المدعوين (الشناقطة) وقدّموا لهم القرى من دون ان يظهر صاحب الخيام كل ذلك الوقت، فامتعض الشيخ من عدم استقباله لهم وكاد يستأذن بالإنصراف، فإذا بالحسن قادم يعتذر ويكرر الاعتذار، وقد أسرّ الى الشيخ أنه كان جُنبا فلمّا سمع بحضوره بادر الى الاغتسال قبل لُقياه وهو ما أبطأه، وبينما الشيخ في حديث معه إذ قدم زبانيته بعبد من المستعبدين لديه على أنه زنا بخادمة من خدمه، وكان مصيره الموت لامحالة، فألتفت الحسن الى الشيخ يريد فتواه فكان جواب الشيخ قاسيا دون تهيب من الرجل، سائلا إياه ألم تفعل أنت قطّ ما فعله هذا ؟فأجاب بلى، وهل أقمت عليك حدّا ؟فقال لا، فعقّب الشيخ بأنْ لا يُقيم الحد على الناس إلا من بدأ و أقامه على نفسه، فأنصاع الطاغية لفتوى الشيخ ولم يغضب منه.

لا تنه عن خلق و تأتي مثـله ****عـار عليك إذا فعلت عظيم.

## الرحلة الى الحجاز لأداء فريضة الحج

لما كان عام1329هـ 1911- م تاقت نفسه الطيبة الى طيبة وحج بيت الله الحرام، فأستعد لهذا السفر الميمون بما أستطاع الى ذالك سبيلا، وصحبه في سفره أجلة تلاميذه السادة الفقهاء عباس المعداني، وصالح الرواضي ،ومحمد الفيلالي، واستخلف في تلاميذه وأهله الفقيه الصالح الورع السيد علال الإعيشي التادلي، فكان خير خلف لخير سلف، فأمتطى وفد الله ظهور المطي مفارقين الاهل والوطن لايثني عزمهم وعثاء السفر، ولا مخافة قطاع الطريق، شعارهم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره، وكأن لسان

حالهم يردد :

قل للحبيب الذي يرضاه سفك دمي ***** دمي حل له في الحل والحرم

ان كان سفك دمي أقصى مرادكم *** فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

وكانت مغادرتهم لخنيفرة في شوال 1329، وبوصولهم الى مرسى الدار البيضاء علموا أن السفر الى الحجاز ممنوع، وذاك أن حكومة الحجازوهي يومذاك تحت سلطة العثمانيين تشكو من الوافدين عليها من أجل التسول وما شاكله مما أضر بالدولة، فتكلفت إدارة السفينة الناقلة بالمراقبة، وفرضت على كل حاج توفره على مبلغ من المال محدد سابقا، ومخرت بهم الباخرة عبر الأطلسي إلى طنجة، وهناك أجري التفتيش، ولم يسمح بامتطاء الباخرة إلا لمن يتوفر على المبلغ المحدد، فغادرت الباخرة ميناء طنجة باسم الله مجراها ومرساها وهي تشق عباب الأبيض المتوسط ثم البحر الاحمر، وكان الشيخ خلال أيام الرحلة قد عقد على متن الباخرة مجالس علمية في تعليم الحجاج مناسك الحج ودروسا في الوعظ والارشاد،كماكان يؤمهم في الصلوات الخمس، ويتصدر لإفتاء المستفسرين والسائلين، وهكذا دأب الشيخ اليوم تلو الآخر في أداء مهمته في الدعوة الى الله الى أن رست الباخرة على بركة الله بميناء جدة. فنزل الحجاج الى اليابسة حيث امتطوا متون الجمال في قوافل جرارة قاصدين مكة المكرمة، وبعد يومين وهم على الرواحل بين الرجاء والخوف وصلوا مكة المكرمة، وهي تاريخذاك يحكمها باسم الدولة العثمانية الملك الحسين بن علي المدعو بشريف مكة، وذلك قبل تأسيس الدولة السعودية، وأثناء أداء مناسك الحج التقى الشيخ بالكثير من علماء الاسلام الأجلاء، وتجاذبوا الكثير من مسائل الفقه وقضاياه.. وأثناء مقامهم فوجئ الشيخ بمكة المكرمة بمرض تلميذه ورفيقه الفقيه العباس المعداني ولم يمهله المرض حتى أسلم الروح الى باريها، والغريب في الأمر أن المتوفى هذاكان دعاؤه دوما بأن يتوفاه الله في مكة فأستجاب الله دعاءه، وقد وقف على الشيخ مناما فقال سأرسل لك هدية من الجنة، فرد عليه الشيخ ومن يكون الرسول؟ فأجابه المرحوم بأنه الشمس،فعجب الشيخ للأمر،لاكنه بعد أيام والشيخ بالمدينة المنورة أصيب بضربة

شمس فأحتم جسمه، فأوّل المنامة بتلكم الضربة الشمسية وفي تحمّل قضاء الله وقدره أجر وتكفير للذنب، هو حقا هدية من الجنة.

وفي الطريق الى طيبة امتطوا من جديد ظهور المطي، فكابدوا بصبر وجلد مشاق السفر، وجسامة الأحداث لمسافة 500كلم، إذ كانت القوافل تقطع الفيافي القفراء دون توقف وإّلابعد تمام مرحلة من مراحل الرحلة، وتحت وطأة حر الشمس الحارقة، الأمر الذي يضطر معه الركاب الى قضاء حاجاتهم من فوق ظهور الجمال وهي سائرة،ومسافة بعد أخرى يفاجأ الحجاج بقطاع الطريق ممن كانوا يدعون» بهب الريح «، يوقفون القافلة عنوة وقد مدّوا في الحجاج بنادقهم، وهم يطالبون بالأتاوة قسراً، ولا تسمع إلا صياحهم «هات بقشيش ياحاج»وفي إحدى المرّات طالب كبير الحمّالين هوكذالك المغاربة بالمزيد على الأجرة المتفق عليها ناقضا العهد بعد أن توغل بالركب في الصحراء، ولما أستنكر الحجاج نقضه العهد صاح في معاونيه بأن «تورو بعيركم ياكوم وذبحوا المخاربة لارحمهم الله»، كل هاته المتاعب أصبحت كلاشيء وقد تراءت لهم معالم المدينة المنوّرة والقُبّةُ الخضراءُ شامخة من بينها، فتعالت الأصوات بالتكبير والتهليل والصلاة على المصطفى عليه أفضل السلام،ولله در من قال حين شاهد المدينة:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر **** قمر تُقطّع دونـه الاوهـام

وإذا المطي بنا بلغن محمـدا **** فظهورهن على الرجال حـرام

قرّبتنا من خير من وطئ الترى *****فـلها علينـا حرمة وذمـام

ولله د ر القاضي عياض رحمه الله إذ يقول:

يادار خير المسلمين ومن بـه *** هي الأنام و خص بالآيـات

عندي لأجـلك لوعة وصبابـة***وتشوق متوقد الجمـرات

لولا الأعادي والعوادي زرتها *** أبدا و لو سحباعلى الوجنات

ثم غادر الشيخ ورفاقه المدينة المنورة للعودة الى جدة، والجو العام بها مكهرب إذ احتلت مرساها بوارج حربية إيطالية ،بينما جيش شريف مكة قد نصب المدافع برا استعدادا لقصفها، لكن تدخل كل من بريطانيا وفرنسا حال دون الاشتباك فانسحبت تلك البوارج.ومن جدة امتطى الحجاج الباخرة التي حطتهم في بيروت، ومنها ركبوا غيرها وقد توجهت بهم الى المغرب حيث رست في مرسى الدار البيضاء، وكان القدوم خلال سنة 1330 هـ) فغادر الشيخ الدار البيضاء مع قافلة قاصدة «بوجعد» ،وفي أثناءالطريق توفي السيد محمد الفيلالي ثاني رفقاء الشيخ، ومن «بوجعد «صاحب الشيخ ورفيقه الثالث السيد صالح الرواضي قافلة أخرى تقصد خنيفرة، فوصلاها بعد عناء واعتراضات قطاع الطريق،فمرة حاصرهم قطاع الطريق بتراب «وادي زم»، فأخذوا يسلبون القافلة، وما تورعوا في ان يسلبوا الشيخ حاجاته،لكن الطالب الرفيق توسّل اليهم بأن يوقروا الشيخ، فهو فقيه عائد من الحج لتوه،فتركوا الشيخ وأقبلوا على الطالب يسلبونه قائلين هات ماعندك فماأنت بفقيه ولابحاج ،وبوصول ركب الشيخ تلقاه الأهل والأحباب والتلاميذبالحفاوة والولائم ،وما هي إلاراحة قصيرة حتى استأنف الشيخ مجالس التدريس كالعادة

## معاصرة الشيخ للمقاومة الزايانية للحملة الفرنسية، ومشاركاته

بعد احتلال الفرنسيين للدار البيضاء سنة1907 تقدمت جيوشهم لاحتلال الشاوية في طريقها إلى داخل البلاد، لكنها لقيت مقاومة بطولية من القبائل المسلمة التي لم ترض بحكم الأجنبي الكافر الغاصب، غير أنه كان في هذه الفترة ان استشرت النقائص والنقائض في النظام العام للبلاد، وهو ما جعل كل الظروف مواتية للعدو المكتسح في الظفر بمراده، ومن تلكم النقائص وأهمهارغم ان هذا ليس موضوعها:

-ضعف الدولة وعدم ضبطها للسير العام بالبلاد.

_الظلم الفاشي من رجال السلطة لأفراد الشعب .

_الجهل المطبق، والإعتقادات الفاسدة في كرامات أدعياءالولاية والصلاح المتبطة للعزائم...عداالإعتقاد في أن الأضرحة ودفينيها سترد عنهم غائلة الكفار.

- الديون الأجنبية التي أفقرت الدولة،وجرت على البلاد وبال أطماع الدول الأجنبية.

- « السيبة» الفوضوية التي عمت البلاد، فاستشرت فيها عصابات قطاع الطريق، وغارات القبائل بعضها على بعض.

- بروز نظام حمائي تتجلى آفاته في خلق مغاربة محميين من طرف قناصل الدول الأجنبية الممثلين لها في المغرب، مما جعلهم محميين من أن تنالهم الدولة المغربية بسلطاتها.اذيجري عليهم مايجري على الأجانـب.

- عدم مواجهة الجيش المغربي للإكتساح الفرنسي بموجب عقد الحماية الذي أبرمه السلطان مع الدولة الفرنسية.

## 1- واقعـة الكـارة بالشـاويـة

وقد خلقت هذه العوامل المذكورة وغيرهامن بين المغاربة خونة ساعدوا الدولة المعتدية على احتلال البلاد، وسهلوا لها الطريق الى مباغتة المجاهدين في معسكراتهم، ومن الأمثلة على ذلك موقعة «الكارة» هذه.فقد أستنجد بعض قواد الشاوية بالقائد موحا وحمو لسمعته ولعلاقات خاصة، وكان ذا نخوة وحمية ونجدة فما كان منه إلاان لبى النداء، فرحل الى الشاوية حيث عسكر بسهل الكارة من تراب المذاكرة وبه نصبت الخيام، ولما علمه الشيخ من استهانة المعسكر بالعدو لقلة عدده عنهم، ولسابق ما حضره وشاهده في موقعة «تادارت»فالشيخ لم يفته ما كان عليه المجاهدون، فليسوا من الجيش النظامي للدولة بل مجرد متطوعين من بعض القواد والأعيان و أفراد الشعب ممن هزتهم روح الدين وحمية الوطنية،فالأغلب يبيتون على السهر والسمر غير آبهين ولا محترسين، وقد غرتهم كثرتهم بالنسبة لجيش العدو ولم يلقوا بالاً لفارق العتاد،الأمر

الذي فطن إليه الشيخ وكان من خلقه الحزم، فألزم طلبته بتنظيم حراسة المعسكر ليلا، إذ نظّموا بينهم الحراسة إثنين إثنين، يقوم إثنان على مرتفع يشرف على المعسكر لفترة من الليل يتلوان أثناءها خمسة أحزاب فيعودان الى النوم كي يخلفهما غيرهما، وهكذا دواليك حتى الصباح، وفي يوم عند الطلائع الاولى للصباح أسرع الطالبان الحارسان الى الشيخ ينذرانه بزحف فيالق من البشر وعلى رؤوسهم طرابيش حمر كالفلافل، وكان هذا الزي خاصا بالمجندين من المرتزقةالمدعوين»بالفيلق الاجنبي«فأسرع الشيخ بدوره إلى إخبار قادة المعسكر لينتشر الخبر بين الناس، ففروا من وجه الجيش الفرنسي الذي كاد أن يطوّق المعسكر ويطبق على الجميع، وكان الأمر كما عُرف بعدُ بخيانة من بعض أعيان الشاوية ممن لا تهزهم حمية الدين والوطن.

## 2- معركة أرغوس مارس1913

لما احتل الفرنسيون وادي زم عاصمة بني سمير، قصدوا قبيلة السماعلة وما يليها من قبيلة بني زمور، وبين هذه الأخيرة وقبائل زايان حدود [1] رابطة للعلاقات بينهما فيما يشبه الحلف، فاستنجدوا بالقائد موحا وحمو طالبين منه المناصرة على العدو المشترك، فلبّى القائد النداء وخرج وبمعيته أبناؤه وخليفته البطل القائد اوالعايدي والبطل معمي بن الحاج حدو، ومن ورائهم جموع من قبائل زايان من المؤمنين المتطوعين، وما كان للشيخ ان يتأخر عن نداء واجب مقاومة المحتل،فصاحب المجاهدين هووتلامذته مسلحين بالبنادق هم كذلك، وكانت مهمته إمامة الناس في الصلوات الخمس، والسير وسط الصفوف وبين الخيام وهو يهلّل ويكبّر وينشد الأشعار الحماسية، ويحث على الجهاد وما يعد به الله المجاهد[2]،وهكذا ساروا في خميس جرار يمتطون الجياد، ويحملون الخيام والأمتعة على البغال، حتى نزلوا بسيطا يدعى»

(1) فيما يسمى ب(أزغار) وهي عبارة عن سهول تستغل مراعي للمواشي، ينجع اليها الزايانيون عندما تكسو الثلوج الجبال

(2)يقول القاضي الشاعر أحمد المنصوري في مؤلفه»كباء العنبرمن عظماء زايان وأطلس البربر«: وكان من بين الغزاة شيخنا العلامة سيدي الحاج عبد الرحمان بتلاميذه حملة الأقلام وحملة السلاح،وقدمنا أن الفقيه أخذ تجربة من حروب الشاوية....فبينما طلبته ذات ليلة في عسسهم بسحر،إذيسمعون دقات الطبول....فعرفها الفقيه أنها المباغتة....

أورغوس» فعسكروا فيه إذ نصبوا الخيام إلى جانب قبيلتي السماعلة وبني زمور، لكن القوم قد أعجبتهم كثرتهم فلم يقيموا وزنا للتنظيم والتكتيك العسكري للعدو المهاجم وللعتاد المتطور لديه، إذ لم يكن المجاهدون يتوفرون إلاعلى البنادق، بينما الجيش الفرنسي رغم قلة عدده نسبة للمجاهدين، فهو يتوفر على أسلحة الرشاشات والمدافع وهي تصيب لمدى أبعد، وتقضي على عدد أكبر، وكان العدو -أحيانا- يقصف المجاهدين من طائرات حربية، وكان القصف هذا أشدّ على جموع المجاهدين، لكن الله قيّض لهم الفرج بأسرهم لمجنّد ألماني من فريق المرتزقة، وقد أفاد المجاهدين في الرد على الطائرات، بتوجيه القصف الى مروحة الطائرة، وهو ما استفاد معه المجاهدون من المعلومة تلك، في إسقاط غير ما طائرة سيما وبينهم رماة لا يخطئون، وفي هذا الصدد والحرب العالمية الأولى مستعرة كان للدولة العثمانية ومن ورائها ألمانيامطامع في المغرب، ولهمامحاولات اتصال بالمناوئين للإحتلال الفرنسي، فكان الإتصال منهمابأحمد الهيبة وبمحمد وحمو(3)

ورجع بنا الى المعسكر، فقدكان سراة القوم وكبارهم يبيتون على السهر والسمر، عدا ما كان عليه المعسكر من الفوضى إذ لانظام يضبطهم، ولا تدريب أسبق خضعوا له، ولا أسلحة ثقيلة بين أيديهم، فكان سائدا بينهم هذا الجو المنحل المطبوع بالإهمال والإستهانة بالعدو الكاسح، ولقد هدى الله الشيخ لتجربته السابقة في واقعتي تادارت والكارة الى أن ينبري من جديد وبزعمه الى حراسة المعسكر حتى لايداهمه العدو على غرة، فنظم طلبته على أن يتخذوا من تلّ مطلّ على المعسكر مبيتا لهم يتناوبون منه على الحراسة، فيفيق إثنان منهم حاملين بندقيتيهما يتلوان خمسة أحزاب من القرآن الكريم، ثم يعودان ليأخذ مكانهما اثنان آخران لذات الغرض، وهكذا دواليك الى حين الشروق، وفي الليلة الثالثة للعسكرة فوجىء المعسكر بصراخ الحراس في الناس إن العدو مطبق عليهم من كل الجهات، وماهي إلاّ هنيهة من الوقت حتى تجاوبت الآفاق بدوي

(3) ويحكي المؤرخ المنصوري بقوله: ان شيخنا قص عليه: ... إذا برسول محمد وحمو يطلبني... وأطلعني على الكتاب... فإذا هو من سلطان الأتراك وكبير الألمان... وإنهما سيمدانكم بماتحتاجون إليه من قوة ومال وعتاد على كبت عدوتكم فرنسا... الجواب بأننا على السمع والطاعة ولا نرضخ لعدو ديننا وعدو نبيناولا تتراءى معه أعيننا، فليطمئن خليفة الإسلام وخليفة الألمان.

المدافع، فتسارع الناس مرعوبين من نومهم وقد طوق العدو المعسكر، فامتطوا جيادهم معترضين العدو تدفعهم حمية الدين، ورغم عدم التكافؤ بين الطرفين فقد أبلى كل من البطلين اوالعايدي و معمي نحدو البلاء الحسن، إذكرّوا بجموعهم على مقدمة الجيش الفرنسي الذي طوق المحلة ليفتحوا ثغرة في الطوق فأثخنوا فيهم قتلا، وسقط الكثير من الطرفين قتلى وجرحى. وبهذه الهجمة البطولية الشرسة فتحوا بها الطريق للمجاهدين للإفلات من الطوق الذي أحدق به جيش العدو على المعسكر.وعاد القائد وجموعه الى خنيفرة موطّدين العزم على ان العدو ستطل جيوشه-يوما ما- على خنيفرة معقل زايان.وحتى يطلع القارئ على خطط الفرنسييتن في اكتساحهم أرض المغرب، فبخصوص خنيفرة وهم يعلمون أنها عاصمة الأطلس المتوسط المنيعة،ويعلمون صعوبة اختراق وعر جبال زايان، وتأكدوا معه من بسالة القائد موحا وحمو وشراسته وصموده في المواجهة، من أجل هذه العناصر جميعها خططوا للحملة العسكرية على خنيفرة، و ذالك بالهجوم عليها من ثلاث جهات، بجيش قادم من ناحية مكناس شمالا، وبجيش قادم من «بوجعد» على طريق سيدي لامين غربا، وبجيش ثالث قادم من تادلة جنوبا، ولم يبق في حماية ظهر المدينة إلا جهة الجبال الأطلسية وعرة المسلك شرقا، وذلك حتى يتسنى لهم تطويقها وتقليم شوكة القائد المجاهد. وقبل وصول هذه الجيوش الى خنيفرة، كان يعترض طريقها المجاهدون والمقاومون من بعض القواد المخلصين وبمعيتهم رجالات القبائل المؤمنة المجاورة لتراب قبيلة زيان، وكان من أهم الوقائع القتالية بين المقاوم والمحتل الواقعتان التاليتان.

### 3- معركة «اوفود أوحمري» واحتلال خنيفرة دون مقاومة:

ولما كان عام 1333هـ 1914 م حدث أن استصرخت قبيلة «لمرابطين « بالقائد موحا وحمو ومن ورائه قبائل زايان في نجد تهم من العدو المكتسح القادم من جهة مكناس، وكانت جنوده على مشارف حدود القبيلة على مقربة من «عين اللوح»، فهبّوا لنصرتهم، فكانت المعركة بموقع يدعى »أوفود أوحمري» على بعد 50كلم من خنيفرة، وقدأبلى فيها المجاهدون البلاء الحسن، إذ كانت الحرب طاحنة سقط فيها

شهداء، كما انسحق فيها جند المعتدين، لكن فارق العتاد الحربي، والخطط العسكرية الحديثة لم يقو معهاالمقاومون على الإستمراروربح المعركة غير المتكافئة، فتراجع المجاهدون من قبائل »آيت امكيلد» «ولمرابطين» «وزايان». وعاد كلّ الى قبيلته.

ومن ناحية شيخنا المترجم له فقد حضر الموقعة، وقام بمهمته كالعادة بإمامة المجاهدين في الصلوات الخمس ، وبالتجوال بين صفوف المجاهدين وإذكاء حماسهم، وحظهم على الثبات، وما واعد الله به الشهداء من نعيم الجنة، و هو يرفع عقيرته بالدعاء والتهليل والحسبلة والتكبير، وقد حدث في هذه المعركةأن أصاب رصاص العدو الشيخ فسقط الجواد من تحته نافقا، وكاد يتمكن بعض جنود العدو من أسره، لولا أن عاجلهم بعض المجاهدين بمعية المجاهد معمي الحاج حدو، فتصدوا للجنود في مقاومة انتحارية كللت بالنجاح، فأفرجوا الطوق عن الشيخ ومن معه من تلامذته، فإذا بالشيخ يقوم من سقطته ولم يصب بأذى عدا أن برنسه قد تخرق بفعل حبات الرصاص »الرش» فأصبح كالغربال وهو حفظ من الله. وقدأصيب كذالك الطالب صالح الرواضي بكسرمزدوج في ساقيه معا.

وما أن عادت فلول المجاهدين من المعركة، وما أن علم سكان خنيفرة بأن العدو مصبحُهم لامحالة، حتى كانت خنيفرة خالية من سكانها، اما القائد محمد اوحمو فتوجه هو الآخر صوب الجبال احتماءاواستعدادا لجمع شتات المجاهدين، وهكذا أُحتلت خنيفرة دون مقاومة، لكن المجاهدين وعلى رأسهم البطل معمّي بن الحاج حدو قد أشعلوها حرب عصابات وفرق موت، اذ كم من معسكر هاجموه ليلا وعلى غرة، فأثخنوا في العدو قتلا وسلبا بالخصوص للأسلحة الحديثة والذخيرة لافتقارهم - إليها.[4]

(4) يقول P.BELOT وهومصدر فرنسي وهؤلاء الجنون المغاربة كانوا يتسللون كل ليلةالى داخل المعسكرفيسرقون منه البنادق بعد قتل الحراس،ولايستعملون إلاالخناجرحتى لايحدثواضجيجا يفضحهم،وكانوا دوما يحالفهم النجاح في مهمتهم.

## 4 - معركة لهري الخالدة:

وفي رأيي المتواضع أعتقد أن الموقعة هذه لاتقل أهمية وإجلالاً عن موقعة وادي المخازن، أوعن موقعة أنوال في تاريخ المغرب، وسببها أن كان من الخطط العسكرية والتاكتيكيةمن أجل تقليم شوكة موحا وحمو، والقضاء على مقاومته، أن عمد جيش الاحتلال الى مباغتة محلةالقائد للقبض عليه، وبينما القائد على فراش النوم إذ فوجئ بالهجوم على المحلة، فما كان منه إلا أن سارع الى جواده وهو بلباس النوم «تشامير» ومن غير أن يسرج الجواد إذلاوقت لذالك ليفر من وجه المهاجمين المطبقين على المخيم ليلا. تاركا الأهل والمتاع.

أما ما كان من العدو المهاجم فقد استولى على ما كان لدى القائد من صناديق الذ هب والفضة والعُملة ومن أثاث ومتاع، والأدهى والأمر أن أسر العدوّ زوجات القائد وأهل الخيمة، فحمل الأسلاب والسبايا على البغال في إتجاه خنيفرة المحتلةضغطا على القائد ودفعا له للاستسلام، أما ما كان من القائد فلم تثن عزمه الفاجعة في المال والولد، وإنما بادر إلى القبائل لنصرته، فوفد عليه المتطوعون من كل حدب وصوب، وفي هذه المرة خطط القائد للمعركة من أجل افتكاك زوجاته وأهل بيته من يد العدو الغاشم، وقد استخبر عن تحركات الجيش الفرنسي فعلم من بعض العيون المدسوسين بقدوم فريق من تادلة في اتجاه خنيفرة، يحمل معه المؤون والعتاد، ويقوده عدد من سامي الضباط، فانتهزها القائد فرصة مواتية، اختار لها المكان وكان قرية»لهري«،وهي على مقربة من خنيفرة ب15 كلم تقريبا، ومحاطة بالجبال من كل جهة، وبوصول فريق الجيش الفرنسي الى» لهري«كانت المفاجأة بتطويقه وقد أحاط به المجاهدون إحاطة السوار بالمعصم، إذ أطبقوا عليهم من كل حدب وصوب منحدرين من الجبال المحيطة بالموقع، ورغم ذالك قاوم الجيش الفرنسي مقاومة شرسة وانتحارية، لكن النصر كان حليف المجاهدين إذ أثخنوا في الفريق الفرنسي قتلا وأسرا وغنيمة، وقد حضر الشيخ الموقعة،وقام بمهمته كالعادة ،وقال عن المعركة هذه إن الدماء كانت تجري كسواقي الماء هنا وهناك، إذ سقط العديد من جنود العدو بين قتلى وجرحى، وقد حصره إحصاء

رسمي في 613 قتيلا من بينهم 33 قائد حمية خنيفرة و200 جندي فرنسي، و 163 جريحا ما بين عدو وحليف للعدو.[5]

اما من جهة القائد فقد حمل معه جثث كبار الضباط الى محلته المعسكرة بين ثنايا الجبال، وكان من بين أسلاب العدو مَدافع -للأسف الشديد- ان ليس بين المجاهدين من يحسن استعمالها، وكانت الموقعة في يوم من شهر نونبر 1914 وعندما طار الخبر إلى مركز القيادة بخنيفرة كانت الفاجعة، ولم يتمكن العدو من مطاردة القائد وأتباعه لوعورة مسالك الجبال التي نقل إليها القائد قيادته ومعسكره، فما وسعهم إلا ربط الاتصال بالقائد للمفاوضة في شأن تبادل أسرى الطرفين، وجمع موتى العدو ودفنهم، فتصالح الطرفان على تسليم جثث الضباط والقتلى مقابل فك أسر زوجات القائد وأهل بيته، فعادت نساء القائد وأهله الى خيامهم، ولا أحد منهم تعرض لسوء من آسريهم الفرنسيين، بل كانو قد أفردوا لهم دارا خاصة بخنيفرة وأقامو عليها حراسا، وأكرموا مقامهم طيلة مدة الإقامة، ولجلال هذه المعركة و أهميتها في تاريخ المقاومة المغربية، وكذلك في تاريخ اكتساح الفرنسيين لأقاليم المغرب بموجب معاهدة الحماية، اعتبر الفرنسيون تاريخها يوم حداد، وأقاموا نُصبا تذكاريا لهذه المعركة البطولية الفاجعة للعدو، وقد دام النُّصب قائما طيلة سني الحماية «بقرية لهري» يراه كل مارّ من الطريق الوطنية بين تادلة وخنيفرة، غير أنه بعد الاستقلال قد أصابه الاندثار فانمحى أثره.

وحتى يطّلع القارئ على شيء مما أوردناه عن شيخنا، فقد نشرت جريدة الإتحاد الاشتراكي بمناسبة ذكرى هذه الواقعة مقالا قال فيه كاتبه عن شيخنا مايلي:

وقد دأب موحا وحمو على هذه السنة الحميدة عندما اصطحب معه إلى ميدان المعركة الفقيه سيدي الحاج عبد الرحمان النتيفي مع تلاميذه من . »أجل إذكاء الحماس في صفوف المقاومين، وذالك بتلاوة القرآن وقراءة الأحاديث الشريفة...وكان هؤلاء حينما يجدّ الجدّ يهرعون إلى أسلحتهم للمشاركة في القتال[6]

---

(5) المرجع «LA PAIX AU MAROC 4 EME EDITION JULES TALLANDEREZ»

(6) جريدة الاتحاد الاشتراكي عدد 25 مارس 1993 في ذكرى معركة الأهري.

# احتماء الشيخ بجبال زايان

لما أطبقت جحافل العدو على خنيفرة من كل جهة، أواسط سنة 1914 رحل سكانها عنها وأحتمى القائد بجبال زايان لما وراء وادي أم الربيع هو ومن لا يزال معه على العهد ،رحل الشيخ هو الآخر بأهله وتلامذته عن خنيفرة، وتابعوا المسير الى أن أستقر بهم المقام بقبيلة آيت عمو عيسى، فاستقبله فضلاؤها وكبراؤها بالترحاب، فمكث بينهم مدة سبع سنوات مبجلا مكرما يعلّـم أبناءهم،ويجالس عوامّهم حلقات الوعظ والإرشاد، فانتفعوا بعلمه، وأقبلوا على مناصرة أفكاره وتباشيره، فأصبح كواحد منهم، يضعن بضعنهم وينجع بنجعهم، فاتخذ لنفسه قطيعا من غنم يذبح منه للضيوف لما كان عليه من كرم وسخاء، كما اشترى أرضًا فلاحية يزرعها كباقي أهل البلد، وهكذا صار أهل القبيلة أنصارًا له وأعوانًا يجتمعون عليه عند سماع الآذان للصلاة، وتلاوة الحزب بعد صلاتي المغرب والصبح، وسماع دروس الفقه والتوحيد.ودليلا على تلكم الرابطة التي جمعت بين الشيخ والقبيلة تلك، فقد بقوا على محبتهم للشيخ وتعلّقهم به اذ دامت صلتهم به طيلة حياته يتزاورون بينهم ويستفتونه، وتصاهروا معه بزواج طالبين زايانيين من بنتين للشيخ،كما كانوا يتفنّنون في إكرام وفادته كلما حل بهم، ولا تزال الصلة حتى الآن سارية ومتوارثة بين أحفاد الطرفين، وهم القبيلة الزايانية التي تمتاز عن غيرها من أثر التربية الدينية التي نشرهاالشيخ بينهم، ومن كثرة حفظة القرآن الكريم فيهم، وبتخصيصهم للمسجد البناية عند الظعن والخيمة عند النجع، واتخاذهم قطيعا من الغنم وآخر من البقر هو من مال المسجد لتغطية مصاريف المسجد، ولضيافة العابرين به وابن السبيل، وأتذكر في هذا المقام واقعة تمثل إرتباط هذه القبيلة بتعاليم الشيخ والسير على سننه ونصائحه، ففي أوائل استقلال المغرب، ويوم أن كان على رأس وزارة الأوقاف أحد الفقهاء، عمل السيد الوزير عن حسن نية على حمل كل قبيلة ممن يخصصون أنعاما أوأي متاع لتسييرمساجدهم على أن يبيعوا ذالك ويقدموا ثمنه الى الوزارة،وستتكفل

الوزارة ببناء المساجد بقراهم والإنفاق عليها، وقد قدم كبراء هذه القبيلة المذكورة على شيخهم يستفتونه في الأمر، فأفتاهم رحمه الله-لبعد نظره و شفافية قلبه بأن لايفعلوا وأن ينتظروا، فإن «أنجز حر ماوعد» فلن يخرجوا عن الجماعة وإلا فلا، فكان الأمر كذالك فالقبائل التي سلّمت مال مساجدها للوزارة، لم ينجز لها شيء من ذالكم الوعد حتى الآن، وضاعت الأموال التي قدموها، وبقيت دون مساجد ولا أئمة يؤمونهم و يعلّمون أبناءهم، في الحين الذي بقيت قبيلة أتباع الشيخ وحتى الساعة تحتفظ بمسجدها وبماله. وتحضرني كذالك ذكرى أخرى تهمّ هذه القبيلة الصالحة، فيوم أن فرض الإستعمار الفرنسي الظهير البربري على قبائل زايان، ومضمونه الفصل بين المدعين بالأعراف البربرية وليس باحكام الشريعة الإسلامية[7].

1- صدر الظهير البربري بتاريخ 16 ماي 1930 وتريد به سلطات الحماية الفرنسية عزل المناطق البربرية عن محيطها الإسلامي العربي، فجعلت مرجع الأحكام الى الأعراف القبلية وليس الى الشريعة الإسلامية ، والمقصود منه إحياء النعرات العنصرية ، والتحرر من نفوذ السلطة المخزنية والدينية لسلطان المملكة، وهو خرق ذريع لمعاهدة الحماية. والأمر منه أن ظهر اليوم على الساحة مثقفون من أصول أطلسية وريفية يدعون إلى مالم يفلح فيه الإستعمار الفرنسي، من بث العنصرية المقيتة ونشر العصبية الشعوبية.

وحصل كبراء القبيلة على الفتوى من شيخهم بحرمة قبول الحكم بالأعراف ونبذ شريعة الإسلام، كوّنوا لأنفسهم مجلس قضاء من كبرائهم وأعيانهم، فكان الجميع ينصاع لمصالحته ولأحكامه الشرعية ، وامتازوا بذالك عن باقي القبائل، ولم يعرف عنهم أنهم لجأوا الى المحكمة العرفية. والغريب أن مجلس المحكمة العرفية ذاته ويرأسه

(7) صدر الظهير البربري بتاريخ 16 ماي 1930 وتريد به سلطات الحماية الفرنسية عزل المناطق البربرية عن محيطها الإسلامي العربي، فجعلت مرجع الأحكام الى الأعراف القبلية وليس الى الشريعة الإسلامية ، والمقصود منه إحياء النعرات العنصرية ، والتحرر من نفوذ السلطة المخزنية والدينية لسلطان المملكة، وهو خرق ذريع لمعاهدة الحماية. والأمر منه أن ظهر اليوم على الساحة مثقفون من أصول أطلسية وريفية يدعون إلى مالم يفلح فيه الإستعمار الفرنسي، من بث العنصرية المقيتة ونشر العصبية الشعوبية.

الضابط الفرنسي رئيس الدائرة، كان إذا ما شذ أحد من القبيلة المذكورة، ورفع دعواه الى مجلس العرف رده الضابط الفرنسي بالرجوع الى أعيان قبيلته للنظر في قضيته، بحجة أنها قبيلة لا ينطبق عليها العرف لسبق وجود علماء الاسلام بينهم وتشبتهم بالشريعة الإسلامية على خلاف غيرهم، وهكذا كانت القبيلة مستثناة عمليا من الخضوع لأحكام العرف من بين القبائل، وذالك بفضل الآثار الإسلامية التي خلفها فيهم شيخنا الداعية المؤمن رحمه الله.

## الرحيل عن زايان والنزوح الى فاس ومصاعب الطريق:

وكم عانى أفراد هذه القبيلة المباركة من ظلم قائد البلد، وهو طرقي مبتدع، وكان يريد أن يصرفهم عن تعاليم السنة، ويكرههم على استقبال شيخه المبتدع والاحتفاء به والتزام طريقته، فما تزحزحت عقيدتهم ولا انقطعوا عن زيارة واستقبال شيخهم، وقد لاقوا مالاقوا من عنت واتهامات ومضايقات من القائد ومن مريدي الطرقية المبتدعة الضالين، بأنهم يتلقون من الشيخ تعاليم الوطنية وكراهية الفرنسيين، فما ضَعُفوا وما استكانوا واحتبسوا ذالك بلاءاً منه تعالى يؤجرون عليه بخير الجزاء، وكم من مرة في زيارة الشيخ للقبيلة ومدينة خنيفرة استدعي للتحقيق معه من طرف السلطات الفرنسية.

لما تفاقمت الأحوال بالبلاد الزايانية، وقد احتل الفرنسيون خنيفرة، ورحل عنها القائد موحا وحمو إلى الجبال احتماءًا بثناياها وغاباتها، واستمرارًا منه للمقاومة، حصل يومذاك ان انقسم رؤساء القبائل الى قسمين:

قسم لجأ الى العدو وصالحه، وقسم لجأ إلى الجبال في حرب عصابات مقاومة، بينما العدو وجدها فرصةلاستمالة الطائفة المنشقة ومدّها بالمال والعتاد، وأغراها بمحاربة الطائفة المجاهدة المعتصمة بالجبال حتى لايغامربمواطنيه، فكثرت الفتن والمعارك، وبين عشية وضحاها تصبح دواوير لاأثر لها جراء اكتساحها من طرف الخونة المناصرين

للعدو، وكان الشيخ قد نزح هو الآخر الى الجبال الى أن استقر به المقام بقرية تخلانت من تراب قبيلة آيت عمو عيسى كما اسلفنا ذكره في فصل سابق،وقد طال المقام قرابة سبع سنوات الى أن جاء يوم هاجمت فيه القرية جماعات من أذناب العدو يرأسهم الأقرباء المقربون من القائد، لكن النصركان حليف المجاهدين من آيت علي واسعيد أهالي تخلانت، وهم من آوى الشيخ وناصر القائد البطل، وكانوا أشد وأخلص نصير للقائد موحا اوحمو، وهكذا استمرت المناوشات بين الطرفين المرة بعد الاخرى إلى أن غلب أهل «تخلانت» على أمرهم ورضخوا للبغاة مستسلمين. وأمام هذا الجو المشحون بالدسائس والغدر وإنعدام الأمن، ومدّ الأخ والإبن اليد في وجه أبيه وأخيه، والتي كانت فيمابعد السبب في نهاية القائد المجاهد في معركة فاصلة، وقدتفرقت جموع المجاهد ين وقاداتهم، وصالح أغلبهم الفرنسيين، واستسلم القايد والعايدي ومعمي بن الحاج حدو إلى العد والمستعمر، في هذه الظروف وقد تفرق المجاهدون شذر مذر، ولم يبق للشيخ مقام في هذه الفوضى العارمة، خوفا من الخونة المنتصرين، ورهبة من أن تعلم عنه السلطة المستعمرة أنه (عراب المقاومة) مفتي المجاهدين وإمامهم المقتدى، فقرر الرحيل في خفية متسللا الى فاس، سيما وقدكان يحن إليهاللاستزادة من نهل العلم، ولِما تتوفر عليه من خزانات كتب ومجالس علم وعلماء أجلاء، لكن الطريق الى فاس محفوفة بالمكاره والأخطار، فبعض المواطنين يرون في قاصدي الأصقاع المحتلة بالنصارى كفارا تحل دماؤهم، فضلاً عما هي عليه الطريق من خطر عصابات «السياب»، ومن جهة ثانية خوف الشيخ من علم السلطات الفرنسية بماضيه مع المقاومة الزايانية،فكان شيخنا بين نارين، ورغم تلكم المصاعب وطّد العزم على المغامرة. ودون اصطحاب أهل بيته معه تجنبا للمخاطرة بهم، فواتته الفرصة، واستنجد من أجل ذالك ببطلين مغوارين هما البطل معمي بن الحاج حدو وأخيه القائد بنعقة، وهذا الأخير هو والد الجنرال حمو الذي أعدم في انقلاب الصخيرات، فأسعفاه على ذالك، وبعثا معه بعض رجالاتهما يحمونه هو وتلامذته الى حدود البلاد الزايانية، وإلى حد هنا بدأت مخاوف أخرى جديدة ومن نوع آخر، فعندما أسلموا الشيخ وتلاميذته إلى رئيس قبيلة لمرابطين بتوصية من صديقه الحميم معمي المذكور، وبحجة أن الفقيه الشيخ هو

وتلاميذه يقصدون فاسا من أجل دراسة العلم، وكانت الحجة هذه هي الشفيع للشيخ ومرافقيه، فأكرم الرجل وفادتهم على مضض وهو يسأل ويعيد ويكرر سبب النزوح إلى فاس، وعند المغادرة قيض الله للشيخ وصحبه رجلا شهما من كبراء قبيلة لمرابطين رافق الركب يخفره ويحميه كما قيض لهم الله أيضًا ركْباً من الفقراء الكتانيين كانوا يقصدون فاسًا فاصطحبوهم، وقد لاقى ركب الشيخ الأهوال والعنت طيلة الطريق إلى أن حط بهم المقام بعين اللوح، وكانت يومذاك قد بسط الفرنسيون عليها نفوذهم، ومن الألطاف الخفية أن قد اقتفى فرسان من قبيلة لمرابطين أثر الشيخ وصحبه للفتك بهم بدعوى أنهم يقصدون الاستسلام للكفار، وبوصوله المطاردين إلى «وادي إيفران» كان ركب الشيخ قد دخل الى عين اللوح وهي محتلة من لدن الفرنسيين، وبحلولهم كلّف الحاكم الفرنسي ترجمانه المدعو المدني السرغيني بإجراءات التحقيق مع الشيخ وأتباعه، وهذا أيضا من عناية الله أن قيض لهم هذا المحقّق الذي دافع عنهم لدى الحاكم على أنهم فقهاء يقصدون فاسا للدراسة بالقرويين، وزيادة من المحقق على تطمين الحاكم أن طلب منه أن يسمح له باستضافة الشيخ وصحبه، ففعل.

وبعد، واصل الركب الطريق الى مكناس فمكث بها ردحا من الزمن معززاً مكرماً، وقد التقى بها الشيخ تلميذه العلامة الأديب الشاعر السيد أحمد بن قاسم المنصوري، وكان قد تلقّى دراسته على يد الشيخ بخنيفرة إلى حين احتلالها. فرحل إلى مكناس حيث مسقط رأس والده، وكانت صلة الأدب والعلم تربط المنصوري المذكور بالطبقة المثقفة في مكناس، ومنهم العلامة المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان نقيب الشرفاء العلويين بالمغرب إذذاك، وفي مجلسه أستأذن المنصوري ابن زيدان في الانصراف، لكن ابن زيدان عارضه بأن لماذا هو مستعجل، فأجاب المنصوري بأنه ذاهب لملاقاة شيخه القادم من خنيفرة، فلم يُخْفِ بن زيدان عجبه هو والكاتب بوجندار، وهو استغراب لا يخلو من تهكّم، إذ تساءلا وهل في زايان فقيه؟! وطلبا منه القدوم بشيخه هذا إليهما، وبحضور الشيخ إلى رياض ابن زيدان، فما أن استقربه المجلس حتى بادره بوجندار بالسؤال هل تقرؤون؟ فقال الشيخ نحن في سفر، فقال بجندار وإذا كنتم في حضر؟ فأجابه الشيخ فما يُقدر، فردّ بوجندار ياعجبا إني أسألك عن الفنون التي تقرؤون!؟،

فعقب عليه الشيخ بالقول ان السؤال عن الجنس لايكون بهل بل يكون بما، ثم طالت المحاورة بينهما قصد تعجيز الشيخ فما أفلح بوجندار في غرضه، ولما حمي وطيس المناقشة انسحب ابن زيدان من المجلس، وبعث برسالة يعتذر فيها عن الحضور، وبات الشيخ ليلته على مضض،وقد طرق سمعه ليلا تشبيب بوجندار وممازحته لفتى كان هناك، فلما أصبح الصباح قام الشيخ مودّعا قائلا ياسبحان الله بالنهار فقهاء وبالليل سفهاء، فأخذ بو جندار يرددها وهو يضحك، وقد لام الشيخ تلميذه المنصوري على توريطه في حضور مجلس كهذا لا يتناسب وأخلاق الشيخ ومحافظته.

كان نزول الشيخ بفاس لثاني مرة خلال عام 1336هـ 1917 فاستوطنها،وهيأ لطلبته السكن بمدرسة الشراطين ، وأخذوا يتلقون دروسهم من شيخهم فيما بين جامع القرويين والزاوية الكبرى الكتانية،وماكان انتماء شيحنا للكتانية-كمااسلفنا- إلا بتأثير من شيخه أبي شعيب البهلولي، ، وكان الغرض مجرد الاحتماء بأهل الجاه لدفع الظلم ولضغط الحاجة، ثم هو من جهة أخرى فما كان أحد من علماء فاس إلا وهو ينتسب لطريقة من الطرق الصوفية، فأمام هذا الجو السائد، لم يكن من بدّ إلاّ الانتساب ظاهريًا للطريقة الكتانية، مع استبطان العديد من الاستفهامات والانتقادات لدى الشيخ، وهذه أهم الأسباب التي رحل من أجلها الشيخ الى فاس حتى يكون أقرب من خزانات الكتب للمزيد من المعرفة والإطلاع على كتب أهل السنة، وهو ما نور بصيرته وكشف غُمّته، عدا ما انكشف له- بقربه من الكتاني- من سلوكات مخالفة ومن تلبيس على العامة،

وفي أواخر سنة 1336هـ راسل الشيخ بعض أبطال زايان ممن أخلصوا له الودّ بأن يقدموا عليه بأهل داره وقد تركهم في قرية تدعى تخلانت، وجيء بهم إليه فسكنوا برياض بناني، وفيها أزدان فراش الشيخ بابنه الحسن بتاريخ ذي الحجة 1337هـ موافق:1919.

ومن جهة الشيخ فقد تجرد لإقامة مجالس دراسية بكل من جامع القرويين والزاوية الكتانية،وكان القيم على مدرسة الشراطين الفقيه التسولي وقد منع طالبين من طلبة

شيخنا من السكن ومن «الخبزة»وهي الرغيف الذي كان يوزع يوميا على الطلبة، وما أحوجهم إليه، وقد مُنعا منها وفق إرادة المحبّس، على أن أحدهما متزوج بينما منع الثاني على أنه صغير السن، فأفتى شيخنا بجواز الخروج عن لفظ المحبّس مراعاة للمصلحة والحاجة، وقد هرع بعض الطلبة الى النوازلي الفقيه سيدي التهامي الوزاني يستفتونه، فصوّب فتوى الشيخ، ولما بلغت التسولي فتوى الوزّاني صرف الخبزة للطالب المتزوج، وحرم منها الصغير على أنه لم يصل بعد لمستوى الطلاب، فأنبرى صغير السن هذا-بإشارة من الشيخ-إلى التسولي وجمعه بالسؤال عن كلمة «مهما» أهي إسم أم فعل أم حرف؟ فقالوا اسما، قال وما الدليل على اسميتها، قالوا الضمير يعود عليها، قال أين ذكرابن مالك عود الضمير من دلائل الاسم، فلم يحْرِ أحدٌ منهما جوابا، فبادر الطالب الصغير بالقول:

بالجر والتنوين والنِّدا وأل ***** ومسند للاسم تمييز حصل

فصاح التسولي الآن حصحص الحق فقد غلبكم «العايل» وهو بلهجة أهل الريف صغير السن، وسمح للطالب» العايل» بتسلّم الخبزة.

وبفاس رزق الشيخ بابنه الحسن ،وهو ثاني ابن بعد الابن البكراحمد رحمهما الله

## مصيرأبطال المقاومة الزايانية الثلاثة (موحا وحمو- والعايدي- معمي)

(أستسمح القارئ في أن أشتطّ عن موضوع الترجمة واستطرد الى وقائع تاريخية، وهي مما أهمله التاريخ، وما ذ كرها هنا إلا لأطلع القارئ على مآل مصير أقطاب المقاومة الزايانيةالثلاثةسنة 1918م 1337 هـ،مادام أن كان ارتباط فترة من حياة شيخنابفترة من حياة هؤلاءالأبطال.وحتى تكتمل الصورة لدى القارئ عنهم.

جهز الفرنسيون المتصالحين معهم وعلى رأسهم أقرب الأقربين الحميمين للبطل

القائد اللذين أتحاشى ذكر أسمائهم، فمدّوهم بالعدة والعتاد واغروهم بالإموال وذالك لتعقب القائد وأنصاره من المجاهدين واقتفاء آثارهم بين ثنايا جبال الأطلس الوعرة وغاباته، والتي كانت عائقا للفرنسيين، وخوفًا منهم من المغامرة بالجنود الفرنسيين وضباطهم في تعقب القائد البطل، وفي موقع هناك تواجه الجمعان فكانت معركة طاحنة سقط خلالها القائد البطل شهيدًا( سنة 1927)، ويقال إن إصابته كانت من أقرب أقربائه، والله أعلم بالحقيقة، وبإستشهاد بطل زايان وفخر امحزان، انطفأت هذه الشعلة المتوقدة غيرة على الدين والوطن، وفي أنفة وكبرياء من أن يحكمه كافر، وقد تفرّق المجاهدون شذر مذر عن قيادتهم التي فقدت المحور الجامع والعقل المدبر، أما ما كان من ساعديه البطلين القائد أوالعايدي، ومعمي بن الحاج حدو فكانا قد أعلنا سنة 1919 الاستسلام للقوة الفرنسية المعسكرة بخنيفرة.

قال عنه الجنرال تيفيني THVENEY أحد قادة الحملة العسكرية على جبال الأطلس في مذكراته ما ترجمته: ((...وإذا كان موحا وحمو قد واصل عداءه الشديد، وصم أذنيه عن سماع نصائح المقربين إليه الذين أرهقهم شظف العيش، فإن (...) قد تفهموا أكثر فأكثر ضرورة المسالمة)).

وقال عن ظروف مقتل القائد في مارس 1927 ((...انقض مهاجمًا ببطولة مع أنصاره...وقاتل دون ان يفرّ من الهزيمة ورفض كل عروض الأمان التي منحت إليه بسخاء)).»وقال أيضا،...وأمام الخطر المحدق بقائد أتباعنا بقيادة(...)وقد هاجما العدو بعنف(القائد وصحبه)وبحميتهم هم دعاه الفرسان المحيطون به إلى الانسحاب، لكن موحا وحمو رفض التراجع ولم تمض لحظة حتى تلقّى رصاصة في حلقه قضت عليه في الحال، وأخيرا انتهى أعظم زعيم في زايان وبطل المقاومة فيها...» ((والحق ماشهدت به الأعـداء))

(((إن (فلان) أصبح في صفنا... مقابل مانسديه له من عون ودعم هام ضد ابن عمه وخصمه اوالعايدي... حين أعلن او العايدي الثورة ضد(فلان) انتهت أخيرا لصالح (فلان) وكانت هزيمة قاسية لغرور أو العايدي، لقد وهنت عزيمة او العايدي حين أخفق

في صراعه ضد (فلان)،))

ولم يبق من فلول المقاومة إلاّ ابن القائد معمي نفاسية، وقد توغل بجموعه في وعر الأطلس، وبقي على المناوشة و المباغثة إلى أن غلب على أمره ففر إلى المنطقة الاسبانية شمال المغرب، واستوطن تطوان إلى أن وافاه الأجل بها قبيل تاريخ استقلال المغرب بقليل، وأن ما جعل معمي الفاسية يفلت بجلده هو أن واقعة اغتياله للضباط الفرنسيين «بسيدي لامين» لن يغفرها له الفرنسيون، ولن يكون مصيره لو استسلم سوى الإعدام.

وفي أول أمر استسلام البطلين اوالعايدي ومعمي أبقى عليهما الفرنسيون بخنيفرة معزّزين مكرّمين تحت الإقامة الجبرية، لكن ابني عمهما القائد البطل وهما(...) لم يرتاحا للمعاملة، وتخوّفاً من أن يتقلدا أي منصب وهما يطمحان الى تقلد قيادة زايان دون منازع، فألحّا على الفرنسيين بتغريبهما عن البلد خوفا من أن يحنا من جديد للمقاومة، وإثارة الناس على الدولة الحامية، فصدرالأمر من الإقامة العامة بالرباط بنفيهما وإبعادهما الى»مكناس» ومنها الى» آسفي» ثم الى «سطات» وكانت آخر منفى، أماأملاكهم العقارية والمنقولة فقد طبّق فيهاابنا عمهما(القائد والباشا) أعراف البلاد بتجريد المغلوب من جميع ممتلكاته، فأستوليا على الأراضي الفلاحية وكانت تعد بآلاف الهكتارات.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ** على المرء من وقع الحسام المهند

وتُحكى في سياقه قصة طريفة، وهي أشبه ماتكون بقصة بوليسية، فأثناء الإقامة الجبرية بخنيفرة للبطلين أو العايدي ومعمي، وقد ضاق هذا الأخير من تقييد حريته وأصابه الملل، وهو الصّقر الذي لا يفتر عن التحليق، والفارس الذي لايمل سرج الجواد، والرامي الذي لايخطئ الهدف، فأقبل على الضابط الفرنسي رئيس الناحية يستأذنه في الخروج إلى صيد الطرائد بمحيط خنيفرة، فسمح له بذالك، وبعودته من رحلة القنص ورداً منه لجميل الضابط تقدم إليه بحجلة هدية منه، فتقبلها الحاكم شاكرا، وقد تفحص الحجلة الهدية، وهز رأسه إلى معمي قائلا: إذا خرجت للصيد غدا فأتني

بحجلة أخرى، وفي اليوم التالي وقد قدم عليه بالحجلة الثانية لاحظ معمي أن الحجلة الأولى لازال محتفظا بها في مكتبه، وما أن تسلمها الضابط حتى تفحصها هي الأخرى وطلب من معمي ثالثة، وفعلا قدم بها مستغرباً من استمرار وجود الحجلتين الأولتين، لكن الحاكم هذه المرّة رفع عنه الاستغراب، إذ تفحّص الثالثة هي الأخرى وعقّب عليه أنه الآن عرفنا من هو قاتل ضباطنا في المعارك السابقة، والدليل بين أيدينا فجميعهم مصابون برصاصات قاتلة في جماجمهم، والحجلات الثلاث جميعهن مصابات في الرّأس، وليس صاحبها إلاّ أنت!

وهكذا أنتهى مطاف النّفي والإبعاد من «مكناس» الى «آسفي» ومنها الى »سطات» وبها وافى الأجل المحتوم البطل القائد» أوالعايدي» أواخر الأربعينات، وبوفاته أفرجت الإقامة العامة عن أسرته وعلى رأسهم أبنه الشهم الكريم قايدي محمد اوالعايدي وعن قريبه ورفيقه في المنفى معمي بن الحاج حدو المحزوني وأسرته، وقد عادوا لاستيطان خنيفرة، وفي طريقهم إليها عرج العائدون رجالا ونساء على دار الشيخ بالدار البيضاء حيث استضافهم لبضعة أيام على الرحب والسعة، اعترافا بالجميل وإجلالاً لهم وتقديرا على مالاقوه من عنت النفي والإبعاد لوطنيتهم الصادقة، ومقاومتهم الباسلة، ومن تم استؤنف تبادل الزيارات بين الشيخ وأسرته من جهة وأسرتي او العايدي الابن ومعمي بن الحاج حدو، وقد صاهر الشيخ ابنه كاتبه بعقدزواجه على حفيدة لمعمي، ولكن الأجل المحتوم وافاها رحمها الله وهي تؤدي مناسك الحج بمكة المكرمة.

## الهجرة من فاس وأسبابها

لم يكن سهلا على الشيخ مغادرة فاس والهجرة منها، إذ كان متعلقا بها أشد التعلق، وذلك لأنها كانت العاصمة العلمية والحضارية بالمغرب بحق وحقيق، ولما تيسر بها للشيخ من المزيد من المعارف بارتياد خزانة القرويين ومطالعة الكتب، والعيش وسط علية العلماء ومناقشتهم وتبادل الآراء فيما بينهم، فقد كان يعزّ عليه مفارقة هذا الجوالعلمي الملائم، ولكنهاالضغوط القوية: .

و لو أعطينا الخيار لما افترقنا **** و لكن لا خيار مع الزمان

فأسباب مفارقة البلد الحبيب لدى الشيخ كانت ضاغطة وبقوة، ومنها ماهوباعث شخصي على النزوح، ومنها ماهو دافع خارجي الى البعد عن فاس، فكان من هذه الأسباب وأهمها على الخصوص أن طبائع إنسان لا يدركها غيره إلاّ بالاحتكاك به، ومعاشرته عن قرب و لفترة كافية، ووضعه تحت مجهر التجربة والملاحظة، عند ذاك ينكشف الطبع الحق وينسلخ التطبع المصطنع، وهذا ما تعرّض له الشيخ في قربه من شيخ الزاوية الكتانية، فالهالة الربّانية التي كان يحيط بها الشيخ الكتاني نفسه اِغتر بسرابها شيخنا كما أغتر بها غيره من المريدين (الفقراء)،فشيخنا كان أكبر اهتمامه بالعلم دراسة شخصية وتدريسا للغير، ولذلك كان يجتمع عليه الكثير من المريدين بالزاوية للسماع منه، ولكن الشيخ الكتاني كان يتضايق من ذلك فينهر فقراءه عن سماع الشيخ ويندبهم الى تلاوة الأوراد والقيام «بالعمارة»، حتى انه مرة رفس أحدهم بقدمه قائلا، ألم أنهك عن الجلوس لسماع هذا، كما أخذ الكتاني في مضايقة الشيخ وطلبته وفرض سلطته عليهم، إذحرم عليهم الخروج للسياحة إلّا بإذنه، فإذا ما خرج شيخ الطريقة الى السياحة أجبرهم على مرافقة ركبه، وسخرهم لقضاء أغراضه، وقيد حريتهم في الحديث الى مريديه في قضايا علمية وشرعية مخافة تنوير أفكار الدهماء الذين يحيطون الشيخ الكتاني بقدسية لا تجب الا لله وحده، » والطرقيون لأهل العلم أعداء « .

ومن الأسباب التي عرّت خبايا الشيخ الكتاني وكانت الحافز على الفراق، أن أبلغ الكتاني شيخنا مأمورية قال له عنها، ان سلطات الحماية عرضت عليه الوساطة بينهم وبين باقي المقاومين الثائرين المعتصمين بجبال زايان، وأن الكتاني اقترح عليهم أن يقوم بالمهمة فقيه زايان الحاج عبد الرحمان النتيفي لسابق معرفته بالبلاد وبأعيانها وكبرائها، وهو أصلح من أن يقوم بهذه المهمة، فما كان من الشيخ الى أن تسمّر في مكانه،وشد أعصابه حتى لا يظهر عليه مااضطرم في صدره من توجيه الخزي والعار لمحدثه، وماهي إلّا ثوانٍ حتى أسترجع هدوءه وألهمه الله الجواب المقنع، فتوجه الى الشيخ الكتاني بالإعتذار عن القيام بالمهمة، وذالك بقوله إن من بقي على المقاومة والإعتصام بجبال

زايان هو معمي الفاسية ابن القائد موحا وحمو، وهذا الشخص سبق لي ان أفتيت فيه في واقعة استفيت فيها، وذلك أنه قدم على قيادة عسكرية فرنسية بسيدي لمين على أنه جاء هو وصحبه مستسلما فاغتالوهم غيلة وغدرا وقد أقسم وهدد بالانتقام مني، وفعلها مرة فنجوت منه و سقط أحد الأنصار شهيدا، وهذا ما لا يعقل معه أن أقدم بنفسي على شخص لا يتورع في سفك الدماء، ومن يوم ذاك أدرك الشيخ صلة الشيخ الكتاني بالفرنسيين، وعمله على خدمة الأ عداء الكفار المحتلين، وأصبح الشيخ يخاف نفوذ الشيخ الكتاني أكثر وهو يخدم الفرنسيين، وهم لا يتقاعسون في الاستجابة لرغباته. وغير هذا مما أدركه الشيخ، من هذه التصرفات السلطوية تجاه مريديه، وحرمانهم من تنوير عقولهم وتسليحهم بمسكة من العلم حتى يبقوا دهماء في خدمةالشيخ، والداهية الكبرى إدراك الشيخ أن أهل الطرق دون استثناء كانوا أحد الدعائم التي اعتمدتها سلطة الحماية في بسط نفوذها على أطراف المغرب،وفي الإبقاء على الإعتقادات الوهميةالمتبطة للعزائم والداعية للإستسلام، وفوق ذالك كله أن تفتحت بصيرة الشيخ من مطالعاته لكتب السنة الصحيحة على ضلالات الطرقيين ومشايخهم.

وأمام هذه المثالب، وإضافة إليها ضيق العيش بفاس، سيما وغالبية طلبة الشيخ كانوا يعيشون على حسابه، لذلك قرر الهجرة بعيدا عن فاس، لكن الأمر ليس بالسّهل، فالشيخ الكتاني لشيخنا بالمرصاد إذا علم بالأمر، فمن غير شك سيسيء اليه لامحالة، و سيوغر عليه صدر سلطة الحماية، وفعلا حصل هذا منه مرّات عديدة بعد هجر الشيخ له، فانتهز شيخنا فرصة مواتية سافر فيها الشيخ الكتاني الى تونس، ورغمه تستر حتى لا يسمع بالأمر أقطاب الطريقة فينوبون عن شيخهم في إذاية الشيخ، وفي ليلة من أواخر سنة (1920-1339) وقد رتب مركوبة السفر جاء أهله على غرة، فأمر بجمع أمتعة البيت مما خف حمله وهم في عجب من أمره، وغادروا فاسًا تحت جنح الظلام، فرارًا من هيمنة الشّر، وفي النّفس حرقة الفراق الاضطراري لحاضرة فاس العالمة، أما ما كان من طلبته فانقسموا الى فريقين فريق بقي منتسبًا الى الزاوية في خدمة الشيخ الكتاني، وفريق أنضمّ الى شيخنا و هجر معه فاسًا الى حيث يريد الشيخ. وكان أبوالجعد

# حلول الشيخ بأبي الجعد وإقامة حلقات التدريس بها

حل الشيخ بأبي الجعد «زاوية شرقاوة»وهم أيضا طائفة من الطوائف الصوفية، لها أتباعها ومريدوها من أصقاع تادلة والشاوية، وكان حلول الشيخ بها حلول الغيث بأرض جدباء، إذ اتخذ من جامع المولى سليمان أشبه بقرويين صغرى، فأنتصب هو ونبغاء طلبته الى عقد مجالس في مختلف العلوم والفنون العربية والإسلامية، وقد اجتمع عليه وفود من الطلبة ممن انتفعوا بعلمه، فكان منهم الفقيه السيد محمد السموني والفقيه السيد عبد المالك والفقيه المتصوف السيد الجنيد وغيرهم، وقد أفرد الشيخ لعامة الناس مجلس وعظ وإرشاد فاجتمع عليه خلق كثير من بينهم أقطاب من الزاوية وأبناؤهم. لكن كل ذي نعمة محسود، فقاضي مدينة أبي الجعد تاريخذاك وهو شرقاوي لم يرضه من ينافسه في علم و رئاسة، سيما وقد أوغر صدره تجمع كبراء البلد وعامتها على الشيخ والتنويه بعلمه وحتى من أبناء إخوة القاضي وأبناء عمومته، فحمل حملة شعواء على الشيخ وبلغ به الأمر إلى أن شكاه للحاكم الفرنسي، زاعما أن الشيخ وطني مبعوث من طرف ثوار الأطلس لإشعال الفتنة في البلد، وطالب بإبعاد الشيخ عن أبي الجعد، فأستدعي الشيخ للمثول أمام الحاكم الفرنسي، فجرى التحقيق مع الشيخ كالآتي:

سأله عن اسمه ونسبه و بلده وأسباب قدومه، ثم سأله عمّا يعلّم طلبته، فأجابه بأنه يعلّمهم علم التفسير والحديث والفقه واللّغة والتاريخ وغيرها، فعقب الحاكم وعلى وجهه علامة العجب ظنّا منه أنه مجرد أحد القراء من «الطلبة» حملة القرآن، قائلا: أنت عالم كبير! لكن ماذا بينك وبين القاضي؟ فأجاب بأن لا شيء قط، وانتقل الحاكم الى القول ومن أذن لك بالتدريس في مسجد المولى سليمان؟ فرد عليه الشيخ أنه في شريعة الإسلام لايحتاج للإذن من آنس في نفسه الأهلية للتدريس، بل الأمر واجب ديني لتبليغ رسالة العلم، فقال الحاكم لقد كان عليك أن تستأذن القاضي، فأجابه لقد أذن لي القائد فلان والقائد فلان وكبراء المدينة وأعيانها، وإلى حد هذا التحقيق صرف الحاكم الشيخ الى حين التأكد من رأي قواد أبي الجعد ونواحيها وأعيان البلد في الشيخ،

و لما تأكد صرف النظر عن وشاية القاضي وأدرك أنه الحسد.

ألا قُل لمن يأتي لي حاسدا *****أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في صنعه ***** إذا أنت لم ترض لي ما وهب

وأمام هذه المضايقات، من تضايق قاضي المدينة ونصبه للشّراك من أجل إقصاء الشيخ عن أبي الجعد، ومن ظهور معارضين للشيخ نتيجة أفكاره وأحكامه في شأن الأضرحة والطرقية، سيما وبوجعد مدينة الأضرحة بامتياز ومعقل الزاوية الشرقاوية، كانت كلها عوامل وأسباب في عزم الشيخ على المغادرة، وللمثال والذكرى نسوق مناظرة للشيخ مع أحد المتشددين في الإنتساب للزاوية الشرقاوية، وفي الإعتقاد بكرامات صُلاّحها، فكان أن احتج هذا المناظر الشرقاوي بكتاب «الذخيرة»وهو كتاب يقدسه الشرقاويون، ويحكي كرامات مشاييخ شرقاوة، فسرد على الشيخ كرامة لشيخ شرقاوة وهي أنه سمع بمولاي بوشعيب دفين ضريح أزمورقادما بوادي أم الربيع وماؤه يجري زيْتًا، وذالك بغرض إقامة عرس لابنه، فغضب الشيخ الشرقاوي لتجرؤ مولاي بوشعيب للمرور بمنطقته دون إذن، وقام هو ومريدوه ليتعرّضوا إليه عند تادلة، فما كان من الشيخ الشرقاوي إلا أن ضرب بعصاه النهر فتحول الزيت ماءًا، فما كان من شيخنا إلاّ أن ابتسم وقال للرجل أن لماذا كل هذا الحسد من شيخك، فلو ترك النهر زيتًا لما احتاج المغاربة إلى زيت إلى اليوم وغدًا ولآجرالله شيخك على ذالك، ثم تصدى للردود النقلية والعقلية كعادته في دحض تلك الخرافات، ثم تبجّح المناظر بأنهم أشراف عُمريون نسبة الى عُمر بن الخطاب، فردّ عليه الشيخ أن شرف النسب آت من ذرية الرسول محمد صلى الله وعليه وسلم، أما سيدنا عمر فنسبه بعيد عن نسب الرسول، ورغمه فشرفه شرف العدل والتقوى والإسلام.

## حصول النفور بين الشيخ والكتاني( إساءات الكتاني للشيخ)

كما أسلفنا في علاقة شيخنا بشيخ الطريقة الكتانية، والتي كانت من باب من

خدعنا في الله انخدعنا له، ولكن الله بصّر الشيخ بخبايا شيخ الطريقة التي ظاهرها ربّاني وباطنها دنيوي محض ولو بوسائل مُخزية، وهو كما أسلفنا ان كان السبب في الهجرة وعلى مضض من فاس في غيبة الشيخ الكتاني الى تونس. وبرجوع الشيخ الكتاني الى فاس من سفره، أُخبر برحيل الشيخ وأهله عن فاس، فغضب لذالك غضبا شديدا وتوعّد بأفدح انتقام، وكعادة شيخ الطريقة يخرج للسياحة من قبيلة الى أخرى ممن له فيها مريدون لطريقته، وقد عرّج على أبي الجعد ولعل ذالك كان مقصوداً منه، فأُحْرج شيخنا وجاء الى الكتاني يعتذر عن الهجرة من فاس ويستدعيه للضيافة في بيته، فلم يرض بل أطلق العنان للسانه بالتوبيخ والتقريع أمام الجموع، مضيفا أن الخروج بدون إذن هو خروج عن طاعة الأشياخ وعرضةلسخط الله والأشياخ، فأسرها الشيخ في نفسه ولم يبد إلا جميلا، وخرج من مجلس الكتاني ولسانه يردد هذا فراق بيني وبينك، وهو يبكي من تلكم الصدمة، وقد لحق به بعض أفاضل المدينة يهوّنون عليه غضب الكتاني وتأنيبه، وممازاد الشيخ ألما أن طائفة من الطلبة ممن لم يكونوا يريدون من تعلّمهم إلا الحصول على الوظائف، وتسخيره لجمع حطام الدنيا قدوة بشيخ الطريقة، انضموا الى الكتاني وفارقوا الشيخ .

و بذاك إنقطع الوصل بين الكتاني والشيخ، وأصدر الكتاني أمره الى مقدمي طريقته في القبائل بأن الشيخ عبد الرحمن النتيفي أنسلخ من الطريقة، وهو معرض لسوء الخاتمة، وألايقبلوا بزيارته لهم أو بسماعه أوباستقباله. و من تُرّهات وأباطيل شيوخ الطرق والتي لم يشذّ عنها الشيخ الكتاني أن حصل أن كان في سياحة من سياحاته بالقبائل التي تعتنق الطريقة الكتانية، وبالضبط كان بقبيلة السماعلة من تراب تادلة، فجاءه بعض خواصّه وحفّاظ أسراره يخبره أنه قادم لتوه من الدار البيضاء. وكان الشيخ قد استوطنها، وقد سمع أن الحاج عبد الرحمن النتيفي قد فقد بصره، فسر الكتاني للخبر وسأل المخبر أن إذا كان قد أسر بالخبر للغير فنفى ذالك، فقال أُكتم السّر حتى آذن لك بإفشائه، ثم توجه الكتاني إلى جموع المريدين وهم حشود كثيرة قائلا تعلمون أن النتيفي كان مريد الطريقة وقد أنسلخ عنها وعاقبته لن تكون خيرا، وليس لي من دعوى أُوجهها له إلا أنّه كما عميت بصيرته فاللهم اعْمِ بصره ،فدوّى الجميع كالرعد

بالتامين على دعوى الشيخ، وبعد ثلاثة أيام أوعز للمخبر بإشاعة الخبر أثناء تجمع حشود المريدين عليه، وبينما الجمع منعقدٌ إذ قدم المخبر يتعثر وسط الجموع ليصل الى الشيخ وهو ينادي بأعلى صوته انا قادم لتوي من الدارالبيضاء وقد أصبح هذا الصباح النتيفي أعمى لا يبصر،فهللت الجموع وكبّرت وأقدمت على الشيخ الكتاني تتمسح وتتبرك وتغذق في»الزيارة «العطاء، وهم يتبادلون الخبر في عجب وإيمان بكرامات الشيخ ودعواته المقبولة، ويتهيبون من الردة عن الطريقة وعواقبها، وليس الكتاني وحده فقدكان طرقيوالدارالبيضاء وممبتدعتها يشيعون بان أولياء الله هم من أعموه، ولم يكُفّ الكتاني عن إذاية الشيخ، ففي غير ما مرة أوعز لسلطات الحماية بأن الشيخ وطني من ثوار زايان، وأن أخويه ألقي عليهما القبض بخنيفرة بدعوى الوطنية، وتقرر فيهما النفي والإبعاد، فكان الله في كل دسيسة يكتب للشيخ السلامة، ونسوق للمثال آخرإذاياته في الآتي:

حصل ذات مرّة أن خرج الشيخ في سياحة لزيارة بعض سابق تلاميذه ومعارفه ممن يحبونه ويقربونه لعلمه وسلوكه المثالي، فأخذ يتنقل من قبيلة الى أخرى إبتداءًا من أحواز الدارالبيضاء الى خنيفرة، فكان الشيخ يُستقبل استقبال أفراح وتكريم، وتتجمع عليه جموع المستقبلين للإستفتاء في قضاياهم الشرعية ولسماع الوعظ والإرشاد، وبمحض الصدفة أن كان الشيخ الكتاني قد خرج للسياحة هوكذالك، ولذات المنطقة وذالك في حملة منه لتهيئة أتباع الطريقة لأحداث ما قبل نفي الملك الشرعي سنة 1953م، فكان كلما حلّ بقبيلة إلا وأخبره مريدوه بأن الفقيه النتيفي سبق أن حلّ بها، فما كان من الشيخ الكتاني إلا ان قامت قيامته، ورأى في سياحة شيخنا تهديدا لمهمته ودعوة لانسلاخ مريديه من الطريقة، فوشى بالشيخ للسلطات الفرنسية على أنه حل بالقبائل ناشرا بين أفرادها الوطنية، وضدا على حملته المقصودة، ويعمل جاهدا على إنسلاخ المريدين من الطريقة، فكان أن تقرر إبعاد الشيخ من الدارالبيضاء ونفيه الى مسقط رأسه بقبيلة هنتيفة. وحتى يهيىء الفرنسيون لتنفيذ القرار جرى التحقيق في كل من الدارالبيضاء وانتيفة، فقد أسرّ قاضي انتيفة يوم ذاك الى الشيخ بأن بحثا جرى معه في شأن نفي الشيخ للإقامة الجبرية بهنتيفة، فأجاب القاضي بأن

الشيخ من كبار علماء المغرب، وان اي بلد في المغرب حل بها هذا الشيخ إلا أحبه الناس وأجتمعوا حوله، وأنه محسود لسعة علمه ممن يريدون إبعاده عنهم، فسئل عمن يكونون أعداءه فأجاب شيوخ الطرق وألدّ هم عداءا الشيخ الكتاني، وأُجري كذلك استجواب لقائد البلد بعد إعلامه بتهيىء سكنى للشيخ المراد إبعاده، وسئل عن رأيه فيه فأجاب ان الشيخ هذا معروف ومحترم من لدن السكان هنا، ويتلقونه كلما زار بالافراح والترحيب، فإذا كان كما قلتم وطنيا فإن وجوده بقيادتي ستنتشر معه الوطنية ويفسد عليّ الناس، والذي أعلمه عنه غير ذالك، فكم مرة زار البلد واستضفته في بيتي فلايتكلم إلاّ في امور الدين. أما البحث الذي جرى من طرف سلطات الدارالبيضاء، فقد قيد الله أن كان أخوان عدلان بالمحكمة الشرعية بالدارالبيضاء يعطفان كثيرا على الشيخ لعلمه، ويستفتيانه المرة بعد الأخرى في قضايا فقهية تخصهما في حرفتهما، ولم يكن يعلم الشيخ عنهما إلا خيراً، ولكنهما كما تبين بعد كانا على علاقة مشبوهة بسلطات الحماية، فدعا لهما بالهداية. وفي زيارة منهما للشيخ، أبلغاه أنهما أُستدعيا من طرف رئيس الناحية بالدار البيضاء، من أجل إستقصاء أخبار الشيخ حتى ينجز عنه تقريرا للإقامة العامة استعدادا لإبعاده عن الدارالبيضاء، فنفى العدلان أن يكون قد صدر من الشيخ أي عمل ضد سلطات الحماية، وإنما هو محسود لعلمه ومبغوض لإنتقاده لمشاييخ الطرق الصوفية، فسئلا عمن يريدبه شرا فأجابا جميع مشاييخ الطرقية سيما الشيخ الكتاني، فما أتماها حتى ضرب رئيس الناحية بيده على منضدة المكتب وقال هو ذاك. ولعله بموجب هذه التقارير قدْ تُروجع عن قرار إبعاد الشيخ، أو لِمَا آلت إليه الأوضاع بعد نفي الملك محمد بن يوسف، إذ لم ينفذ شيء من ذالك، ولم يفتر قط الشيخ الكتاني عن ذكر الشيخ بنعوت مشينة. وكلما طرأ ذكر الشيخ أمامه إلا وفاه في حقه بما لا يليق، وقد حفظ عنه يوما بعض الأفاضل ممن حضر جمعهم أن نعت عالمية الشيخ «بعقد اذْهَبْ في عنق الكلبٍ» سامحه الله، وهو منه اعتراف بعالمية الشيخ وقدح في شخصيته، والمراد قوله أنه عقد علم في عنق شخص لا يستحق حملـه.

وقد اعتاد الشيخ الكتاني - الفينة بعد الأ خرى- على القدوم الى الدار البيضاء، وإقامة بضع المجالس بالمسجد المحمدي حيث يقيم شيخنا مجالسه، فكان الشيخ

يتخلف عن إقامة مجالسه الى أن يرحل الكتاني، وحتى لا تحصل أي لقيا بينهما لا قصدا ولاصدفة، وذالك منه إتقاء للشر وأستنكاراً للإبتداع ولموالاة المستعمر الكافر.

وللدلالة على انسلاخ شيخنا من الكتانية واهلها،وماترتب عنه من حقدهم عليه نورد كتابة لأحد اقطابهم في حق شيخنا (8)

## استقرار الشيخ بالدار البيضاء

كان السبب المباشر لهجرة الشيخ الى الدار البيضاء أن اصطحبه أحد جلسائه ببجعد أصله من فاس الى عرس لعائلة فاسية تستوطن الدار البيضاء، وفي حفل العرس حضره بعض العلماء، وكالعادة دارت مناقشات علمية بينهم، فانبرى شيخنا للمشاركة فكان لامعا إذ أجاد وأفاد، مما نبّه اليه ربّ الدار(السيد اليعقوبي) وكان من أعيان الدارالبيضاء ،فتوجه الى شيخنا بالقول: إن علمك هذا يجب نشره في مدينة لا أن يحبس في قرية،وزين للشيخ الانتقال الى الدار البيضاء، وانه يتكفل بمصاريف الارتحال، وطلب من الشيخ أن يمكث بينهم بضعة أيام لإقامة دروس بالمسجد، فمكث شهرا قبل أن يعود الى بجعد للقدوم بأهل بيته.

وأخيرارحل الشيخ بأهله وبقية طلبته للإقامة بالدارالبيضاء،وكان ذالك أواسط1341هـ1922-م وقد ودعه فضلاء سكان أبي الجعد وداعا حارا،هذا والشيخ في سفره فما أن تراءت له معالم الدار البيضاء حتى وقف به جواد تلاوته القرآن الكريم عند قوله تعالى: «أتتركون فيما ها هنا آمنين في جنات وعيون ...الآيات «وتفاءل

---

(8) من مسودة مؤلف مخطوط للشيخ الباقر الكتاني أسماه: (طبقات الكتانيين) قال_سامحه الله_ عن شيخنا ما يلي:

نزل مدينة فاس واستوطنها بتلامذته وإخوانه، وصار يقرؤهم بجامعة القرويين وفي الزاوية الكبرى الكتانية، وبقي هناك سنوات،وكان فيه بدوية، إذ علمه لم يتحضر.ثم اعتنق المذهب الوهابي، ونسي ماكان يقرره من المذهب الصوفي وتدريسه لمؤلفات أئمته، وانقلب رأسا على عقب،ثم تغيرت أحواله وانقلبت عاداته، ولله في خلقه شؤون، نسأل الله الثبات آمين.

الشيخ خيرا، فكانت فعلا الدار البيضاء آخر مطافه، وحيث استقربها مقامه حتى وفاه الأجل المحتوم ، وبحلول الشيخ وجد سكان الدار البيضاء قد استدبروا الحق، وأستقبلوا الباطل إلا من عصم الله وقليل ماهم، فالباحث بينهم عن أهل السنة كمن يبحث عن عنقاء مغرب، فقد زين لهم الشيطان أعمالهم وافترقت نحلهم بين أهل الزوايا، والأضرحة وسدنتها، وعكفوا على عبادة القبور والتقرب إليها بالذبائح وندر الندور، فمن تيجاني الى درقاوي الى كتاني الى ناصري إلى عساوي الى حمدوشي ...الخ

أما ضريح بليوط فهو محج الجميع، وكل وارد على الدارالبيضاء لا محيد له عن زيارته لطلب ضيافته، وقس عليه ضريح سيدي عبد الرحمن»مول المزمر» على الشاطىء، وضريح للاتاجة وسيدي علال القرواني وأبو الأكباش ....الخ وغيرها من الأضرحة المنبتة بين أحياء المدينةوفي أرباضها كضريح سيدي مسعود وأحمد بنيشو، والأمر لم يقتصرعلى عامة الناس، فحتى الأئمة أدعياء العلم لم يشذوا عن الحالة تلك، فما منهم إلا طرقي او دعي للصوفية، أو منقاذ لأدعياء الولاية والصلاح أو متمسح بالأضرحة. فما كان من الشيخ إلا أن دعاه واجب الدعوة الى السنة، فشمّر عن ساعد الجد، وأطلق لسانه في المجالس بإرشاد الناس الى الصراط المستقيم، وهو التوحيد والسنة المحمدية، وبيّن للناس أن سؤال أهل الأضرحة العطاء هو شرك بالله، ومخالف لوحدانيته وتفرده بالمنح والعطاء، وسفّه أحلام من يطلب من ميت بركة، وعزا الى أهل الطرق والزوايا تفرقة المسلمين إذلاحزب إلاحزب الله، ولاورد إلا ورد السنة النبوية، و قد بدأ عقد مجالسه من زاوية الى اخرى، فكان يطرد شر طردة من إحداها لأخرى، وأ خيرا قر بمجالسه أول الأمر بجامع ولد الحمراء وهو المسجد المواجه للميناء، ومنه الى جامع الشلوح-كما يدعى- وهو بوسط المدينة القديمة،ثم الجامع المحمدي أخيرا، وقد جرّت عليه الدعوة هذه أن تألّب عليه المبتدعة وأهل الضلالة، فناظرهم وأخرسهم بحججه وأرائه الصائبة، ولما أخذ الحق يظهر بين الساكنة اجتمع على الشيخ خلق كثيرممن أ قتنع بد عوته، فاستضاءوا بنور العلم والهدى، وصفا توحيدهم وصح ايمانهم .

وكعادة الشيخ فلم يكتف بمجالس الوعظ والإرشاد التي يخص بها عامة الناس، بل عمد الى تأسيس مدرسة علمية خصص لها مسجدا اقتطعه من دار سكناه، فأوى إليه العديد من طلاب العلم من ساكنة البيضاء ومن آفاقيين، وكان الشيخ يقوم بمؤونة الآفاقيين منهم، وجعل نظام الدراسة على غرار جامع القرويين، فكان يعقد مجلسا لكل علم من العلوم، فدرّس مختصر الشيخ خليل، وجمع الجوامع لابن السبكى، والتلخيص في علم البيان والمعاني والبديع، والزقاقية، وتحفة ابن عاصم، ومقدمة إبن خلدون ونخبة الفكر لابن حجر، وعلم العروض، والمنطق، ومقصورة ابن دريد، وألفية بن مالك وغيرها، وقد أناب عنه ابنه البكر العلامة الأديب سيدي أحمد في التدريس للمبتدئين من الطلبة، بما يتناسب ومستواهم الدراسي ولم يطل بالابن الأمر حتى اختاره الله الى جواره. ولمّا تكوّن لديه بعض الطلبة ممن علا مستواهم العلمي انتذبهم لعقد مجالس التدريس لمن دونهم، ولمّاضاق مسجد الشيخ بحلقات الدروس استعان في ذالك بجامع الشلوح وهو أقرب المساجد لسكناه، فكان إذا دخل المرء إلى الجامع وقد أنعقدت به حلقات الدرس في كل زاوية يحسب لكأنه في جامع القرويين مصغّراً، وهووصف كان قيدوم الصحافة الأستاذ زياد قد أطلقه على مدرسة الشيخ.

وسارت الدراسة على هذا المنوال، فتخرج على يده كثيرون ممن سياتي ذكرهم، وكان ممن نبغ من أبناء الشيخ، الابن الفقيه الحاج الحسن، والذي تولّى بدوره عقد حلقات التدريس، أمّا ما كان من حلقات التدريس لعامة الناس فقد أفرد لها الشيخ وقتا مناسبا، إذاختار لها مابين العشاءين حتى يكون العامة متفرغين من أشغالهم اليومية، وقد قسم أيام الأسبوع بين تفسير القرآن، وصحيح البخاري، ومختصرخليل وغيرها،وكان في تدريسه للعامة يلتزم اللهجة العامية وتبسيط المسائل المعقدة حتى تصبح في متناول فهم الجميع.

ومن حرصه على أداء هذه الرسالة السامية،كان نشاطه وراحته في المثابرة على الدرس، من غير أن يصيبه ملل أو فتور، ويحضّ طلبته على إغتنام فرصة شبابهم حتى لا يضيع العمرسدى، وإنتهاز فرصة الدرس حتى لايفوتهم الركب. وقد نُصّب خطيبا

للجمعة بالمسجد اليوسفي منذ تدشينه،فصلى الجمعة فيه أحيانا بحضور السلطان المولى يوسف،ثم بالسلطان سيدي محمد بن يوسف، ودام الشيخ خطيبا به قيد حياته، ثم تولاها ابنه الحسن إلى أن وافاه الأجل، فتولاها صهر للشيخ إلى أن أقعده المرض أخيرافاستقال.

## سعة معارفه ومناهجه في التدريس

كان الشيخ عالما مشاركا ، واسع الإطلاع في مختلف العلوم الإسلامية،وعلى حظ مهم من العلوم الحديثة،و له باع طويل في أساليب توصيل المعلومة الى أدهان المتلقين ،فهوفي تدريسه ينهج أسلوبا تشويقيا، إذ يخاطب أفهام السامعين بما يبسط أعقد المسائل ويجعلها سهلة الإستيعاب، ولا يعتمد السرد المسترسل لمسالة ما كما وردت في كتب الأولين، بل يتناولها بالبحث والتحقيق فيعرض حجج النقل ولا يهمل حجج العقل، فيثير السؤال ويتناوله بالجواب وفيه إثارة للسامع حتى ينتظر الحل، وبه يبقى السامع مشدودا للدرس، ومع الأيام يتكون لدى المتلقي ميزان عقلي يقيس به أي مسالة عارضة ليستنتج لها الحل، ولن يكون الا صوابا في الأغلب، وكان الشيخ يقول عن هذا الأسلوب أن جميع شرائع الإسلام معقولة المعنى،ويستدل لكل منها بحجج منطقية. كما كان في مزاوجته بين النقل والعقل يقول بأن النقل حجة المسلم على المسلم بينما العقل حجة الإنسان مطلقا على الإنسان، وبهذا الأسلوب تكوّن على يد الشيخ نوابغ من العامة لا يقرأون ولا يكتبون، ولكنهم يُعجزون غيرهم عند المناقشة الشفوية، فكم منهم أعجز علماء مقلدين لايحيدون عن المذهب الواحد. أو طرقيين في معتقداتهم الفاسدة ،وقد كان الشيخ من جهة أخرى محدقا بالخلافات العليا، إذ يعرض آراء أئمة المذاهب وحتى غيرهم في المسالة الواحدة، فيمحصها ويحقق فيها فيصوّب هذا ويخطّىء ذاك، وينتهي أخيرا الى إبراز الأصح وحجته في ذالك، فما كان مقلدا لمذهب، بل كان يقول بالاجتهاد وبوجوبه، ويقول عن أئمة المذاهب أن كلا منهم كان مجتهدا وما تأطير إجتهاد هم بالمذهبية الا ممن أرخوا للمذهبية من بعدهم، فلماذا نحن

نسدّ باب الإجتهاد، فما كان الأئمة رسلا أو أراؤهم وحيا، ولكن كانوا أبناء رجال ونساء ونحن كذالك، عدا أننا في زمن غير زمانهم، وفي محدثات غيّرت حياة الناس بمن فيهم المسلمون رأسا على عقب، وتولدت عنها قضايا استوجبت التماس أحكام لها، صحيح ان الثوابت الإسلامية، والمحكمات من كتاب الله وسنة رسوله لا يصح ان نناله بالإجتهاد فيها أوالتغيير منها، أما ماعداها فللمسلمين مقاييس وأصول الأحكام من قياس ومصالح مرسلة، واقتباس... الخ يعملونها في إيجاد حلول لكثير من المسائل الحديثة العارضة، وصلتها الوثيقة بالعلوم الحديثة والمخترعات. ومتغيرات المجتمعات المعاصرة.فالعصمة لله ولاعصمة لمخلوق ،ومن مالك قوله: »كل من يوخذ من كلامه يرد عليه إلا صاحب هذا القبر»،فالشيخ في درس الحديث محقق ينهج منهج الرواية فيسرد الرواية عن شيوخه وشيوخهم حتى الصحابي الراوي عن رسول الله، ثم يتناول مافي الرواية من ضعف أو أنقطاع أو ما شاكله من علم الحديث، وأخيرا يخلص الى متن الحديث بشرح المضمون والتعليق عليه والأستنتاج منه، ومن منهجية الشيخ كذالك أن كان يركز كثيرا على العقائد حتى مع عامة الناس، وهو ما عابه عليه بعض العلماء ممن حضر دروسه، معترضين على أن العامة جهّال لا حاجة لهم بالمسائل العويصة التي لا يفقهها إلا المتفقهون، وخيّر للشيخ أن يعلمهم العبادات من وضوء وصلاة، فكان الرد من الشيخ بأن الوضوء يتعلمه المرء من اعتياده على الحضور الى حيث يُتوضّأ (الفسقية)خصة المسجد ، وأن الصلاة يتعلمها من مواكبة الإمام في صلوات اليوم الواحد اليوم وغدا، أما العقيدة فمن يعلمه إياها إلا مجالسة العلماء، وهي القاعدة والأساس وإلا فلا اسلام ممن يشرك بالله غيره من البشر في خصائص هي من خلق الله، وممن ينسب قدر الله خيره وشره الى شيخ من مشايخ السوء الأدعياء المسيطرين على أذهان الدهماء،(قالت الأعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا)، كما كان في دروسه لا يعتمد التطويل ولاالسير على وتيرة واحدة، بل ينحو التلخيص وقصر الحصة والتنوع، ودرس اليوم لن يكون غدا، وذالك منه حتى لايمل المتلقي ويكلّ بل يجد تنوعا في المعارف والأساليب، فلئن كان درس اليوم في الفقهيات فهو غدا في التفسير وبعد غد في العقائد هذا مع دروس عامة الناس بين العشائين ، أما مع الطلبة فلن

تكون الدروس متتالية حصة إثرحصة، ولا هي مطولة بل كان يتخلل بين درس وآخر حصة استراحة، أوحصة حفظ واستظهار الأمهات من المتون الفقهية كمختصر خليل ورسالة ابن زيد،والأربعين النووية.وأرجوزة ابن عاشر،و ألفية ابن مالك و تحفة ابن عاصم أو ... او ... إلخ وكانت لطلبته الملازمين خرجات ترويحية المرة بعد الأخرى الى بعض الأجنة لبعض المحسنين بأرباض الدار البيضاء، وذالك للترفيه عن الطلبة من عناء الدرس وتجديد طاقاتهم الإستعابية، عدا ما ينالهم من إنعام وإكرام يوسع عنهم ضائقتهم، ويدخل على نفوسهم المسرات والإعتزاز بما يلاقونه من حفاوة وترحيب واكرام.

ويطيب لي أن أنقل للقارئ ماقاله ولده العلامة سيدي الحسن في ترجمته الموسعة عن صفات والده الشيخ العلميه وخصائصه الخلقية ،قال رحمه الله: هوالإمام العالم الهمام الشيخ المشارك، الدراكة الفهامةالمحقق،الناقد الحافظ العارف بالفقه والحديث والتفسير والأصول والبيان والبديع والمنطق،والتصريف والعروض والهيئة والطبيعة وغير ذالك...

فقد قام عليها قيام المحصلين ،وذلّل صعابها للطالبين،إذا تكلم في فن لاتحسبه يعرف سواه،بلغ درجة الإجتهاد والإختيار بحيث يرجح ويصحح ويزيف ويضعف ويُفري بثاقب فهمه أديم المنقول،ويبهر بحفظه العقول، ياتي في دروسه بالترجيحات الشافية،والأبحاث الوافية، والفوائد الجمة،والمستنبطات المهمة،جارى في ذالك مضمار كبار الأئمة،ونصراء السنة،ياتي في تقريره للمسائل بجميع الإحتمالات والوجوه والتفاريع حتى لايترك شيئافي نفس السائل إلا أتى عليه وأناط به حكمه، له إكباب كبير على النشر والتدريس والوعظ والإرشاد، لايفترعن التدريس سفرا وحضرا،ولايفارقه طلاب العلم في الضعن والإقامة، فانتفع بعلومه من لايحصى من الناس خاصة وعامة، وما من أحد صحبه الاّ نال منه على قدر استعداده وأهليته، ولايقوم جليسه إلا عن فائدة يفيده بها أونصيحة يرشده إليها، ناصرا للسنة،سالا سيفا قامعا للبدعة،مفوّقاسهمه الصائب في نحور اهلها،ناعيا على الناس تنكبهم عن طريق السنة

وخصوصامتصوفة الزمان الذين أفسدوا الدين والعقول، وتحكموا في العباد بماشاعت لهم انفسهم الخبيثة من الكذب على الله ورسوله وعلى بني الإنسان، وقد جعل الله الحق غالبا على لسان الشيخ فلا يلحق أحد شأوه في ميدان النظر، ولايطمع مناظره منه ولو بقلامة ظفر، وله في الذبّ عن حوزة السنةا لمواقف المشهورة،والآثارالمحمودة التي لاينكر فضله فيها الا جاحد اومعاند ومن لم يعرفه الا عن طريق الباغي والحاسد،لأن ذالك شأن الناس فيمن ناصر السنة وقال الحق ولو كان مرا.

وللشيخ مكانة سامية في الأخلاق الفاضلة، فهو حسن الأخلاق، طيب الأعراف، لطيف المحاضرة، جميل المعاشرة، عذب الفكاهة، مليح النادرة، غاية في الجود والكرم، نهاية في الإيثار..انتهى.

### أ - العالـم المفسـر:

كانت للشيخ الدراية بالتفسير والتأويل والمفارقات التي تحكمهما، وعلى اطلاع واسع بعلوم القرآن من حيث قراءاته، واسباب نزول آياته،ومكّيه من مدنيه،ومُحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه،وبيانه وبلاغته، ومعانيه وأحكامه، ووجوه تفسيره، وخاصه وعامه،ومطلقه ومقيده،ومجمله ومفسَّره،وحلاله وحرامه،ووعده ووعيده،وأمره ونهيه،ومادلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، وكان الشيخ محدقا للمتواتر من الشاذ، وما عداه من طرق التفسير وأحكامه مما لامندوحة عنه للمفسر.

فدروس التفسير لكلام الله العزيز كانت لديه جامعة لأبحاث نفيسة وفوائد جمة، يعتمد فيها السنة فإن لم يجده رجع إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ،وتفسيرهم يعتبر مرفوعا إلى الرسول عليه السلام ، أويرجع إلى إجماع الأمةعلى تفسير أوتأويل، فهو يعرض أقوال المفسرين فيضعها في ميزان البحث فما صحّ فذاك وما لا فلا، فكم له من معارضات للسيوطي والصاوي والنيسابوري والحاتمي وأضرابهم من المفسرين، وكذالك هو مع المفسرين القدامى كابن جرير وابن كثير والطبري والزمخشري،وكم له من بحوث في تفاسير المفسرين المعاصرين كالطنطاوي والشيخ رشيد رضا، وهو في تفسيره يشنّع على ما وقف عليه المفسرون الجامدون الذين زعموا ان القرآن لا يفسّر إلا بما

فسّره الأولون، فقد خرج عن هذا الحرج وأعمل الرأي في تفسيره وتأويله، يقول جل علاه : ((أفلا يتدبرون القرآن ))ويقول : ((كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته))، وتدبرالقرآن دون فهم معانيه غير ممكن، فاستنبط واستنتج من أحداث العصر الحديث مايجلي الكثير من معاني القرآن من غيرزيغ عن المعنى المراد اوتحميل النص القرآني مالا يحتمل، كما وقع ممن اشتط في تفسيره تأييداً لغرض يرمي اليه اولسلطان يتملقه او لسياسة ينتهجها، كما كان يعارض الجامدين ويحتجّ على قصور تفسيرهم وجموده من القرآن ذاته بقوله تعالى «ومافرطنا في الكتاب من شيء» وقد لاقى الشيخ عنتا كبيرا من بعض الفقهاء المتأثرين بالخرافات والمؤمنين بالطالع، وذالك أنهم أستقبحوا من الشيخ أن يجرؤ على تفسير القرآن، وهو طالع سيء ينذر بموت السلطان، لكن الشيخ سفّه هذه الترهات والتشاؤمات، ولم تثنه عن الإستمرار في دروسه المتعلقة بتفسير القرآن، وللمثال على أسلوبه في التفسير فقد كان يعتمد التفسيير العلمي للقرآن الى جانب تفسيره اللغوي والمعنوي، فكان إذا وقف-مثلا- على آية ... »والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة و يخلق ما لا تعلمون....فسرها بالإشارة الى بعض خصائص علم الحيوان ، وإلى المخترعات الحديثة في مجال النقل من سيارات وشاحنات وطائرات و قطارات وسفن ، وإذا فسر آية،.....»((فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على أربع)) «.....يتعرض لعلم الحيوان، .....» وإذا فسر((«وكلوا و اشربوا ولا تسرفوا...»)) تعرض لعلم الطب، وعن آية ....وبالنجم هم يهتدون»...... تعرض لعلم الفلك وفنّد ترهات المنجمين بالقولة «كذب المنجمون ولو وصدقوا»، وإذاوقف على آيات :((فلينظر الإنسان مما خلق ...))فسره بتكوين الإنسان في الرحم وأطواره من علم الحياة،وعند قوله تعالى:((وفي أنفسكم أفلاتبصرون)) تعرض للغرائز والميولات الإنسانية مما صح من علم النفس ، وقس عليه مالم يقل ،وهو في اقتباساته تلك لايغلو ولا يُغرق حتى لا يُحمّل النص القرآني ما لاينسجم معه ويخرج به عن مدلوله وغاياته، ،و حتى لا يزيغ به عن حدوده ويحمله ما لا يحتمل ،فيبدأ درسه- بخصوص الطلاب- بعرض بعض اشكالات الإعراب والصرف والمفهوم اللغوي وقد يطرق معه علم البيان والبديع لبلاغة القرآن الكريم، ثم يُتْبعه بأسباب النزول إن

كانت للآيات أسباب خاصة، ومنه ينتقل الى تحليل المعاني وتبيان فوائدها و أسرارها جامعا بين القديم والحديث، وبالنسبة للعوام فكان الأهم بالنسبة اليهم هو المعنى، فكان يتناوله باللهجة العامية أحيانا مع تبسيط المعنى، و للشيخ من المقدرة البيداغوجية ما يبسط به أعوص التفاسير حتى تشدهم إليهاو تصبح في متناول أفهام العامة، وتشوقهم الى استيعابها.

وقد استغرق الشيخ في تفسيره للقرآن الكريم بتمامه نحو خمسة عشر عاما، ويوم ختم تفسير القرآن أقام الشيخ حفلا ضخماً في داره، حضره الكثير من طلبة العلم والعلماء والفضلاء، فأُلقيت خلال الحفل خطب وقصائد شعرية تناولت جوانب كثيرة من الثقافات، ومن المديح لشخص الشيخ، ومن تناول وقائع مشرقة من جوانب حياته العامرة.

ب- العالـم الفقيــه :

ومن حيث علوم الفقه فالشيخ كان مبرَّزاً في البحث والتنقيب والتفريع والإجتهاد، فكان على اطلاع بالخلاف العالي لايتقيد فيه بمذهب معين،كماكان يعتمد في فقه الأحكام آليات أصول الفقه من كتاب وسنة واجماع وقياس ومصالح مرسلة واقتباس،مع النظر في مقاصد الشريعة والأهداف التي ترمي إليها، وإلى مآل الإجتهاد أوالفتوى المتوصل إليها، فما كان من الأحكام ينسب للمالكية- مثلا- فإ نه يطرح أقوالهم ثم يعقب عليها بأقوال الشافعية والحنيفة وا لحنبلية، فيعرض دلائل كل مذهب ويعقد بينها مقارنات ومفارقات ليخلص في الأخير الى القول الأصح، وإذاما لم يقتنع بدلائل المذاهب الأربعة تلك بحث لدى مذهب الظاهرية وغيرهم، فإذا وجد دليلهم أقوى وأنسب دعمه وأفتى به، وعلى سبيل المثال نورد هنا قضية فقهية ينطبق عليها أسلوب الشيخ الفقيه في دراسته للقضايا بعيدا عن التقليد الأعمى، فمسألة تعدد صلاة الجمعة في عدة أماكن في البلد الواحد لا تقول به المذاهب الأربعة لكن أهل الظاهر يقولون بجواز التعدد ولا يشترطون مااشترطه غيرهم ،وبالأخص المالكية كإشتراطهم الجامع العتيق في إقامة الجمعة و إنعقادها باثنى عشرمصليا، واشتراط الحرية و غيرها مما

ما أنزل الله به من سلطان، والى الظاهرية جنح الشيخ وألف في النازلة هذه تأليفا أسماه «اللمعة في أن كل مكان تصح فيه الجمعة»: ولو تتبعنا نماذج المسائل الفقهية التي تناولها الشيخ بإعمال إجتهاده فيها لطال بنا الحال ،وليست ترجمة الشيخ موضوعاً للتوسع فيها ولكن لنعطي للقارئ مثالا على ان الشيخ كان فقيها مجتهدا لا يقول بالتقليد، ويشن حملات شعواء على الفقهاء المقلدين القائلين بعدم جواز الخروج عن المذهب، وبقولهم بانقطاع الإجتهاد، فقد جرد لسانه وقلمه بالإعتراض عليهم، فعقد فصلا في أحد مؤلفاته خصصه لذم التقليد الأعمى ووجوب الإجتهاد في كل زمان، وأنه حجة الله في أرضه، وأن المجتهدين هم خلفاء الأنبياء، (العلماء ورثة الأنبياء)، واستدل لآرائه بحجج عقلية في فلسفة التشريع بإستثناء مبادىء الإسلام وثوابتها التي لا إجتهاد مع نصوصها، وفوق ذالك استقصى الشيخ الكثير من المسائل اللتي أتخذها المقلدة للمالكية وهي خارجة عن المذاهب جميعها، كما هو الحال فيما جرى به العمل الفاسي بإجازة البناء على القبور وزخرفتها وتنويرها بالمصابيح وهوحرام باتفاق أهل العلم، كما أفتى بحرمة الذبح على الأضرحة وحرمة أكل لحومها، وكذالك عن صحة موجبات تعدد الجُمَع، وقراءة القرآن جماعة، وكراء الأرض بالثلث، وبعدم لزوم طلاق الثلاث في كلمة واحدة وجميعها خروج عن المذهب، وغيره كثير مما يجد فيه الناس حرجا من فتاوى المقلدين، فقد اشتكى كثير من العاملين عند الفرنسيين أو اليهود -أيام الحماية الفرنسية- من منعهم من الصلاة أثناء العمل، فأفتاهم الشيخ بالصلاة جمعا جمع تقديم أوتأخير في بيوتهم حسب الحال، بينما أفتاهم بعض المقلدة بمغادرة الخدمة عند مانعهم وليتوكلوا على الله فهو رازقهم. وقد ألف الشيخ في النازلة هذه كتابا حافلا أسماه « المستغنم في رفع الحرج عن المستخدم»أما فتاواه هذه فقد حاز فيها القدح المعلى وذاع صيته بها فصادفت استحسان الناس، ورفعت الحرج عنهم، ومنها فتواه في أن طلاق الثلاث في كلمة واحدة لا يعتد به، ويعتبر طلقة واحدة رجعية. كما أفتى في تحريم الزوج لزوجته بالقول»أنت علي حرام»،انه مجرد لغولاشيء فيه اوتلزمه كفارة اليمين وإلا فطلقة رجعية ولاتحرم عنه بتحريمه هو ولكن بتحريم الشرع كما هو منصوص عليه في الطلاق.

ومن حيث تفريع المسائل الفقهية، فلايتناول مسألة ما حتى يأخذ في تفريعها وإسقاط حكمها على الكثير من المسائل المحدثة قياسا على الأولى،ورعيا للمقصد الشرعي والمصلحة المرسلة، وللمثال فالضرورات المبيحة للتيمم وصل في تفريعها الى ما يزيد عن ثمانين مبيحا للتيمم. بموجبات ضرورات العصر ومحدثاته.

## ج-الحافظ المحدث:

كان فريدا في الحفظ والاستذكار وقوة العارضة ،وفي علم الحديث فقد جمع فيه الشيخ بين الرواية والدراية، وكان الى جانب ذالك حفاظا للحديث وقلما يذكر حديث أمامه إلا وسبق الى سرده، يسترسل في حلقات دروسه في سرد الأحاديث الواحد تلو الآخر وبأسانيدها المتصلة التي أجازه بها شيوخه من المحدّثين.

فمن حيث الرواية فهو اوسع اطلاعا بمصطلجات الحديث، من حيث التواتر،ورواية الآحاد، والشاذ،والموضوع،والمدرج والمرفوع ...الخ ،فما أن يسمع برواة الحديث حتى يبادرإلى تبيان صحته من عدمه، وذالك بملاحظة الإنقطاع بين راوٍ وآخر أو بضعف راوٍ من رُواته، أو أنه غير منسوب،أو أن الحديث موضوع، أوأنه من الإسرائليات،وغيره من مناهج دراسة الحديث والبحث في صحته، وله في الرواية فهرست يجمع جميع الأسانيد عن مختلف كبار المحدثين ممن أجازوه،وبعض الأسانيد يقال عنها أنها أرفع سند على وجه الأرض، ويكفي استدلالا على قوة حافظته ان السارد عليه يملي عليه الحديث سطرا سطرا فيستظهره الشيخ في قراءة أولى منه فيخطيء في بعض كلماته فيصوبها له السارد، و في قراءة ثانية يكون قد حفظه عن ظهر قلب، والدليل الأقوى على سعة الحافظة والذاكرة لديه أنه ليلة إحياء ذكرى مولد النبوي عليه السلام يملي الشيخ في محاضرته لتلكم الليلة شمائل الترميذي كلها وبأسانيدها ويزيد عليها ماروه البخاري ومسلم وأبو دواود والنسائي و أحمد و غيرهم في شمائل المصطفى، وكان يستغرق في سردها الليلة كلها من عشائها الى الصبح، لكن مع تقدم السن أخذ يكتفي بفترة مابين ثلاث ساعات أوأربع من الليلة المباركة. ولا يفوتني في شأن هذه الليلة ان الشيخ كان يتعرض لتاريخ إحيائها، وأنه لم يحفظ التاريخ ان النبي (ص) ولا الصحابة

من بعده رضوان الله عليهم و من تبعهم أ حيوا ليلة مولد النبوي، وان دولة الفاطميين كانت أول من ابتدعت إحياء الليلة بباذخ الإحتفال، وفشت في كثير من دول الإسلام منذ ذالكم التاريخ، كما كان الشيخ في سرده لما جاء من ذكر لوقائع معجزة عند ميلاد النبي(ص) يقدم لسردها بملاحظات ضعف رواتها والمبالغة في أحداثها، وهذه إضافة أخرى الى ماهو عليه الشيخ من المحبة المتزنة والمضبوطة لشخص النبي، وما كان عليه من الالتزام بطرق البحث العلمي بما فيه منهج الرواية، وذالك منه حتى لا تزيغ به العواطف الحادة فيكذب على التاريخ والحقيقة وعلى الله تعالى، فيبالغ ويغلو في المحبة والتعظيم الى حد تأليه النبي، وهو ما فعله كثيرون من أدعياء محبة الرسول وروايتهم لأحاديث موضوعة، الأمر الذي تناوله الشيخ في العديد من مؤلفاته وستأتيك أيها القارىء عند تعرضنا لمؤلفاته بالتفصيل.وكان يعتبر الحفاوة بالليلة بدعة حسنة مالم يطبعها مااعتاد عليه المحتفون من الغلووالعادات التي يمجها الإسلام وليست منه في شيء.

ومن حيث الدراية بنص الحديث ،فالشيخ لايقتصر على سرد الحديث والتسليم به تلقائيا مالم يعرض نصه على أحكام القرآن وميزان العقل،فما وافقها فذاك وما لم يوافقها فلا،فكم من احاديث أبرزمخالفتهاللشرع الإسلامي،وكم من أحاديث صحح روايتها ودحض النص،أودحض الرواية وصحح النص،وماذاك منه الا لما تعرض له الحديث الشريف من اضافات ومن خَلْق ،فكم من اقوال اهل الكتاب وغيرهانسبوها الى الحديث،وكم من غرائب جاءت على لسان المتصوفة أقحموها في الحديث،وكم من احاديث اصطنعها ذوو السلطان لتبريرتصرفاتهم ،وهي مدعاة الى التحقيق والتمحيص اذ لايصح اليقين الاحيث يكون القطع.

وقد أجازه كثير من العلماء الأعلام بأسانيد هم المتصلة من رَاوٍ لِرَاوٍ الى صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم حفاظ الحديث النبوي ورواته،ومنهاالأسانيد المروية إلى موطإالإمام مالك أوإلى صحيح البخاري أوصحيح مسلم أوالنسائي وابن ماجه والترميذي ...، ومن شيوخ العلم المحدثين المجيزين للشيخ أبو محمد عبد الكبير

الكتاني، وسيدي أحمد بلخياط ،والشيخ أبو شعيب البهلولي، والشيخ أبو شعيب الدكالي والقاضي مولاي علي الدمناتي،وغيرهم من أقطاب المحدثين ، وكانت هذه الإجازات مستنسخة ومجموعة في دفتر فهرست وبخط مغربي جميل، فكانت بحق تحفة علمية ومخطوطة نادرة ،غير أنه بعد وفاة الحسن ابن الشيخ افتقدناها ولم يعثر لها على أثر في خزانته. وهومالم أحدق معه جميع من أجازوا شيخنا، وكانت إجازات شيوخ العلم قديما شهادة بعالمية المجازوهي بمثابة الشهادات الجامعيةفي زمننا هذا.

## د- العالم المشارك :

لم يكن علم الشيخ قاصراعلى الفقه والتفسير والحديث بل كانت له دراية جُلَّى وباع طويل في قواعد اللغة وعلوم البيان والمعاني والبديع والعروض، وفي علم الأصول والقواعد وله فيها أبحاث مع ابن السبكي ومع شراح ابن عاشر في العقائد، ولم يكن في أبحاثه تلك إلاّ منصفا، فقد كان يناصر مرة الأشاعرة في رأي لهم ويخطيء المعتزلة وقد يناصر مرة أخرى المعتزلة ليخطيء الأشاعرة كما فعل معهم في قضية الجبر والإختيار، وكما كانت له قوة العارضة في علم المعقول، فلم تكن قاصرة على الأ خذ بالمنقول، فقد كان للشيخ اطلاع واسع بالمنطق والفلسفة الإسلامية وله فيها أبحاث وجولات مع الفلاسفة سيما الفلاسفة الماديين وقد سجل بعضا منها في غير واحد من مؤلفاته، وله أبحاث نفيسة مع علماء الطبيعة ومنها مناقشته لنظرية داروين في أصل البشر.وله ابحاث قيمة في علم الفلك في رؤية الهلال وفي الرد على من قال بإمكانية إتحاد الصوم والإفطار في العالم جميعه، وكذالك في إباحة النظر في النجوم نظرة علم ردّا على من قال بالحرمة، ولاينكر منه إلا نظر المنجمين أدعياء الغيب والتنبؤات، أما التاريخ فقد مسّ منه بعض ما أرتآه خدمة للحقيقة، وله فيه أبحاث مع الحلبي وابن خلدون، كما له بحث مع بعض الأدعياء في المغرب نفى عنهم صحبتهم لرسول الله ،وقد خاطبت الشيخ في شأن كتابته في التاريخ فأبى ان يفعل، وقد علّل امتناعه عن الكتابة فيه، أنه- بادىء ذي بدء- يشتغل بالعلم، والعلم حقائق يعبّر عنها بكل صدق وأمانة، أما التاريخ فهو شغل الأدباء يتناولونه كما يحلو لهم بالتضخيم والمبالغة والتزيد ووَصْلِ المقطوع

وقطع الموصول، وتملق الكبراء والسلاطين، مما لا يعبر عن الحقيقة الضائعة وسط تلكم الإبداعات الأدبية، وهذا لا يليق بي، فإذا أنا كتبت في التاريخ، فكم من بطل في أعين عامة الناس إذا بسطت تصرفاته فلن أجعل منه إلا طاغية ومحاربا وقاطع طريق، فما يكون من الناس إلا أن يرجموني بالحجارة، فالحقيقة علقم مرّ لا يقبل به إلا الحر ممن أوتي تجردا من العواطف الحادة ورأيا حصيفا وازنا، وهذا ما أفسد التاريخ الإسلامي الذي هو تاريخ سلطات وليس تاريخ أمة، وليته كان صادقا وناقلا لحقائق تلك السلطات التي يؤرّخ لها، ولكن المؤرخين كانوا يصوغون كتاباتهم على الكثير من المبالغات، وقلب الحقائق إما تملّقا لذوي السلطان، أو تشويقا للقارىء ،وقد طبعوا التاريخ بالإبداع الفني، وليس لسرد الحقائق على طبيعتها،والحقائق على سجاياها.

## هـ- العالم المجتهد المجدد

كما أن الشيخ لم يكن مقلدا لمذهب من المذاهب ولامُتشدّداً أومتزمتا، بل كان على دِراية تامّة بالخلاف العالي واطلاع واسع بالمذاهب الإسلامية فلا يأخذ بحكم من الأحكام إلا بعد عرضه على القرآن والسنة ثم على أراء الأئمة السابقين، وإعمال المقارنات والمفارقات والتمحيصات فيما بينها ليخلص الى الرأي الأقوى سندا والأصلح إتخاذا، ولاغرْو عليه في أن يجد الحق ويتّخده من الشيعة اوالمعتزلة أو من أي مذهب مغمورهمه في ذالك الحقيقة والحقيقة وحدها، وتيسير الأحكام على المسلمين وتطويرها حسب المصالح المرسلة، ومن مراجعة مؤلفاته يتبين جليا للمطلع ماكان عليه الشيخ من إجتهادات جريئة بعيدا عن التزمت والجمود ومن غير ميوعة أوتفريط في الثوابت.والشيخ في تبنيه للإجتهاد يعتمد فيه غيرما آية من القرآن الكريم،يقول الله تعالى:((الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم المتقون)) ويدعونا سبحانه إلى تحكيم العقل في كل مايعرض للإنسان من أمربالقول:(.. أولوا الألباب)و(..أفلاتعقلون)و(..أفلاتتفكرون)و(.لعلهم يتفكرون)و...فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وصحيح أن استنباط الأحكام بواسطة الإجتهاد مقصور على غيرالمنصوص عليهافي القرآن والسنة.

فالشيخ كان يؤمن بعقلانية الإسلام، ويُحكّم العقل في جميع دراساته ومناقشاته للعقائد والعبادات والمعاملات والعقوبات ،ويلتزم في استنباطه للأحكام أسس التشريع الإسلامي، من أن دفع الضرر مقدم على جلب المنافع،ومن سد ذرائع الفساد،ومن رفع الحرج فالضرورات تبيح المحظورات،ومن أن الأصل في الأشياء الإباحة ،وأن الأصل في الإنسان البراءة،وعليه مذهب الإمام الشاطبي في قوله:(...حيثما وجدت المصلحة فتم شرع الله) وعليه كذالك الإمام ابن القيم الجوزي في قوله:(...إذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فتم شرع الله ودينه)

### و- المعلم المدرّس:

ولتقريب الرؤية، وإتخاذ كلية ننطلق منها الى الجزئيات نقول عن الشيخ أنه خلق معلّما ومات معلّما، فكان منذ نعومة أظافره إلى حين لقاء ربه لم يبغ بالتعليم بديلا، ودليلنا على ذالك نقتصرفيه على ذكر عروض بديلة لم يقبل بها الشيخ، ولا رضيَها، فقد عرض عليه الشيخ أبو شعيب الدكالي يوم أن كان وزيراً للعدل خُطة القضاء فأباها الشيخ، وبعث له الوزير بالتعيين عدلاً موثقا محتجا على الشيخ بقوله تعالى»ولا يضار كاتب ولا شهيد»، فكان جواب الشيخ ولا هي، فما خلقت إلا معلما، وبالإرشاد والوعظ والدعوة الى السنة ألقى بها العليم الحكيم، وكذالك كان مع أبنائه فلم يبغ لهم بغير التعليم بديلاوهذه واقعة أخرى جرت بينه وبين ابنه الحسن رحمه الله، إذ علم الشيخ بأن ابنه المذكور بعث سرًا بطلب ولوج سلك القضاء إلى وزارة العدل، فأرسل يطلبه الحضور وهو مغضب، وواجهه بما فعل وخيره بين الرجوع عن طلبه أو مغادرة داره، فما كان من الحسن إلاالإذعان وطاعة الوالد، وليس من أبناء الشيخ-قيد حياته- من اتّخذ أي حرفة غير التعليم، وبعدوفاته وأمام اضطرار وضغط متطلبات الحياة احترفوا غير التعليم.

وكان الشيخ في تدريسه يقسّم برنامجه الى قسمين، ففي النهار يعقد دروسا في مختلف الفنون للطلبة، و يساعده في ذالك نبغاء طلبته بعقد حلقات التدريس للمبتدئين، وفيما بين العشائين كان يعقد حلقات دروس الوعظ والإرشاد بخصوص

عامة الناس بجامع الشلوح وجامع ولد الحمراء، وجامع السوق بالمدينة القديمة، وبالجامع المحمدي بالمدينة الجديدة، ويقوم بخطبة الجمعة بالجامع اليوسفي منذ تأسيسه، وكان في دروس الوعظ والإرشاد مابين العشائين يعمل على تنوير عقول العامة بالسنة النبوية الصحيحة، ودعوتهم الى نبذ الخرافات والترهات والضلالات وعبادة الأضرحة واعتناق الطرقية، فيشنّها حملة شعواء على أهل المنكر دون هوادة وكان أسلوبه في دروسه تلك حكيما وطريقته ممنهجة ومشوقة تشد إليها المتلقي، فلغة الدرس لعامة الناس بسيطة تغلب عليها اللهجة العامية، والغريب أن كان يبسّط صعاب الأفكار وينزل بها إلى مستوى سامعيه حتى تصبح في متناول مداركهم وأفهامهم، وهو ما نبغ معه كثيرون من العوام ممن لازموا دروسه حتى أصبحوا يذاكرون العلماء ويناقشونهم .وهم أكثر من أن نأتي على ذكر البعض منهم فضلا عن ذكر الكل.

## ز- العالم المفكر:

ماكان شيخنا كباقي الفقهاء المعاصرين له، وقد كان الطابع السائد اجترار أقوال الفقهاء السابقين على ما هي عليه ودون إعمال للفكر فيها، فلا إجتهاد في أ حكامها ولا مناقشة لأرائها لكأنها وحيٌ وثوابت دينية لا يحق المساس بها والخوض فيها، فكان الشيخ يرد على من يتساءل من المعارضين أن كيف يجرؤ شيخنا على أن يرقى لمكانة مالك..و..فيقول ان مالكا وغيره من الأوائل أبناء امرأة ورجل وكلانا كذالك. أما شيخنا فقد ذهب بعيدا في مناقشة اي كان من المذاهب والأعلام السابقين وأعمل في تمحيص الأحكام والآراء منهجية تعتمد البحث في صحيح السنة من حيث الرواية والنص والمطابقة للقرآن ومسايرتها لأحكام العقل والمنطق، وحاجات المجتمع وتطوره، والأهداف الشرعية من الموجبات ومن المحرمات، فيخلص منها إلى إجتهادات تنبني على أسس صلبة من العقل والنقل حتى لايشتطّ أحدها على الآخر، ولم يقبع بإعمال فكره فيما سبق من أحكام الشرع، بل تجاوزه الى مناقشة أفكار معاصرة من أمثال فكرة النشوء والارتقاء لدى داروين، وفكرة الشيخين رشيد رضا وعبده في أصل أن البشرية غير مقصورة على آدم، و فكرة خلود الجنة والنار، ومناقشة افكار محمد خالد في كتابه

لكيلا تحرثوا في البحر، وله أبحاث في العقائد وعلم الكلام وفي الشورى في الإسلام وفي مفارقات القانون الوضعي للتشريع الإسلامي، وهي بحق من الفلسفة الإسلامية. كما أن له مناقشات للفكر الشيوعي تخللت بعض مؤلفاته. والخلاصة عنده أن أحكام الإسلام معقولة المعنى، وهادفة لخلق مجتمع اسلامي متميز، وليست تعبدية فقط

## ح - العالـم الداعيـة:

أمام الجهل المطبق بالسنة النبوية الحقة حتى بين أهل العلم، وقد فشت الطرقية، وعمت المعتقدات الفاسدة، فكنت لا تجد بين عامة الناس ولاخاصتهم إلا طرقيا يعتقد في مشايخه التصرف والخوارق والبركة والكرامات. . إلخ، وأما الفقهاء فنادرا ماتجد من بينهم من لاينتمي لطريقة من طرق المبتدعة الضالة المضلة، وحتى من اشتهر منهم بالدعوة الى السلفية والسنة الصحيحة كانوا يسالمون ولا يجاهرون بالإستنكار[9]، على خلاف ماكان عليه شيخنامن الصراحة في مناهضة مشايخ الطرق وسدنة الأضرحة دون مهادنة ولا مداهنة، فكان الزمن ينعت بحق بجاهلية معاصرة، تحتاج إلى وريث للسنة النبوية الطاهرة من الشوائب والمزاعم الكاذبة، يبشر بها ويدحض بموجبها تلك الترهات، والهرطقات، والكذب على السنة، لاتأخذه في ذالك لومة لائم، وهذا ما تتجدد معه الدعوة إلى الإسلام الصحيح، الخالي من الشوائب التي علقت به من طرف المستغلين للجهل وللفراغ الديني الذي ساد بين الناس، فزينوا لهم إدعاءاتهم ومزاعمهم، فكانت الاستجابة لهم من عامة الناس استجابة عمياء. «والظمآن يستجيب لأول ساق».

ومن ترهات وهرطقات هؤلاء قولهم: من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه، وقال أحدهم عن نفسه: انه خاتم الأولياء، وأن النبي عليه السلام يحضر بذاته عندتلاوة مريدي طريقته للأوراد، وقيل عن بعضهم انه في صلاته وهو بالمغرب يسجد برحاب

(9) قال الاستاذ المختار السوسي- وهو درقاوي الطريقة- عن شيخ من كبار دعاة السنة والسلفية بالمغرب:...ويكون درقاويا اذالاقى احد الفقراء فيتحدث معه عن الشاذلية، وعن مولاي العربي سند هذا الورد الى الشاذلي...وقد لاقيت اناسا من الدرقاويين الكبار يفتخرون بان الشيخ(عالم السنة)منهم

الحرم المكي، وان الولي يغيث ذاالحاجة في البر والبحر،ومنهم من يبيع صكوك الغفران وقصور الجنةويزعم الشفاعة في مريديه ،ومن غلاتهم من يقول بالإتحاد والحلول، عدا الطقوس التي يقيمونهاوهي على خلاف مع شرع الله، وغيره كثير ممالايصدر الا من مبرسم اوممن يدعي لنفسه ماهو شرك بالله والعياذ بالله.

وبموجبه، كان الشيخ الداعية يجدد لهذا الجزء من الأمة الإسلامية أمر دينها، يدرس في مجالسه ويقوم بالدعوة في سياحاته، ويجادل في مناظراته، ويلاحظ على سلوكات غيره، كل ذالك بالدعوة الى سبيل الله بالحسنى، فلا يغلظ قولا ولا يسفّه أحلاما، وإنما هي الحجة والبرهان ولخصمه الحكم بمقتضاهما، فقد يتفوّه المرء بالكفر اوالإلحاد أوما يخالف شرع الله، فلا يبادر إلى تقبيح القول وتخطيء القائل، بل يدعوه الى مناقشة ما تفوّه به، فيتخذ لذالك وجوها مرقمة أولا بأول وكلها برهنة وإقناع، ولا تدع المخطىء في آخر المطاف إلا معترفا بخطئه، ولي رجعة اليه في باب المناظرات.

وقد يتناول الشيخ الرد عن قولة أوسلوك في اقتضاب وفي صورة فكاهية، وللمثال عليه أن سأل مرة قادما عليه من أي بلد هو؟ فقال أنا(ابن سبعة رجال)، ويعني بها مراكش وهي تضم سبعة أضرحة، فقال له الشيخ لا لا يا ولدي لا تحرّم أمّك فأنت لست إلا من رجل واحد، فضحكا وأقتنع المخطىء بفظاعة النسبة المبتذلة.ومرة قدِم عليه شخص من دكّالة وهم معروفون بالطول الفارع لأجسامهم وكان إذا سئل الدكالي عن نسبه قال : » ولد سيدنا آدم « فلما قالها للشيخ قال فهل نحن أبناء قرد داروين فكلنا من آدم. وكان إذا ما قدم له شخص نفسه على انه الشريف المولى فلان رد عليه كلنا أشراف من سلالة النبي آدم وهو أبو البشر ومن بعده نوح عليه السلام الاب الثاني للبشرية بعد الطوفان. كما كان يطبق حرفيا القاعدة الأصولية الحكم على الشيء فرع تصوره، فكان مثلا لايبادر بالتخطيء أو التكفير لأول وهلة بل يناقش القولة من قضية لأخرى الى أن يصل بها إلى الحكم، وقد يترك مخاطبه يستنتج الحكم بنفسه، وللمثال حكم قائل بالشيوعية أو مناصرلها يناقش أفكاره فكرة فكرة مناقشة عقلية و نقلية تقوده الى استنتاج الحكم الشرعي دونما مجرد الرمي بالكفر، ومن الأمثلة كذالك ان كم من عبّاد

الأضرحة ومعتكفيها أخرجهم من ظلماتها الى نور العلم والسنة، وكم من جازم بمعتقد فاسد خلصه منه ببسيط من المناقشة الهادئة والمحاجة المقنعة، وفي هدوء ودون تسفيه أوتَشَنُّج، وقد حضرت مرة و قد تجمع عليه خلق كثير بقبيلة من قبائل زايان الأطلسية في زيارة من زياراته لها، فاستفتاه أحدهم مستفسرا عما يقوله في الولي الصالح سيدي فلان الذي عبد الله أربعين سنة في غابة، فما كان من الشيخ إلا ان صمت بضع ثوان، ثم عقب على السائل بأنه خلال صمته هذا استعرض القرآن الكريم بخاطره فلم يجد فيه انما يعمر غابات الله ولكنه وجد قوله تعالى: » إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر« وصمت، فانبرى أحد الحاضرين قائلا مادام لايوجد في القرآن من يعمر غابات الله فإنما يعمُر غابات الله وحوش الله، فعقّب عليه الشيخ، قلها له انت ويعني به السائل، فلما اطمأن الشيخ من عدم إغضاب السائل، تصدّى لمناقشته فقال إن شيخك هذا إما أنه متزوج أوأعزب، فإن كان زوجا فلمن ترك الزوجة وقد حرمها المعاشرة الزوجية والإنفاق، والأمر أدهى وأمرّ إذا كان له أولاد فمن يسهر على تعليمهم وتربيتهم ونفقتهم ... فشيخك هذا ارتكب جرائم في حق بيته، وإن كان أعزب فمن حمله على التبتل وحرمان نفسه من المتعة الحلال، عدا ان اعتزاله هذا من الرهبنة وهي محرمة في الإ سلام» لارهبانية في الإسلام«، ثم هو أمرآخر فالعيش في الغاب بين الوحوش وفي العراء قد يسبب للشيخ مرضا وقد تفترسه السباع، وهو بذالك يكون في حكم من ألقى بنفسه الى التهلكة ومات محاربا، وقس ماقيل على من لم يُقل...فاقتنع السائل واستغفر الله من اعتقاده الفاسد.

## شذرات من مناظرات علمية

كان الشيخ قوي الحجة، طويل النفس في المجادلة والمناظرة، وكان يتحاشى الأغلوطات والأسئلة التعجيزية،والسفسطةفي المحاجحة، ويعتبرها بعيدة كل البعد عن أخلاق العلماء ورزانتهم، وهي ديدان من وصفوا بالطيش وكل غرضهم منها هو إفحام مناظريهم، وتعجيزهم والهزء بهم امام الحضور .فكان يناقش ويجادل ملتزما أدب

المجادلة، فلا يغلظ في القول مهما كان خصمه خاطئاومتحاملا، ولا يتبجّح بعلمه مهما كان منتصرًا، وما كان غرضه إلا الوصول الى الحقيقة له أوعليه، وليس ببعيد بأن كان على قولة الشافعي رضي الله عنه: «ما ناظرت أحدا إلا وأحببت أن يظهر الحق على يده «وإن ما أطرحه من نتف من مناظرات في التالي لا أحدق بكليته كل الإحداق، ولكني اقتصرعن بعض منها ،و في كل مناظرة منها على جانب من جوانبها فقط مما أتذكره، وذالك لإعطاء المثال فقط ،وإلا لكان لذكر كل ماراج بالمناظرة الواحدة دفتا كتاب لجمْعها .سيماوالمناظرات تلك غير مدونة حتى يرجع كاتبه الى نصوصهاالكاملة. فإليكموها كما تيسر.

## 1ـ مناظرة أجانب من هيئة تناسخ الأرواح:

دعي الشيخ مرة من طرف عائلتين يهوديتين هما» لاريدو، وبنتو» أصلهما من طنجة، وكانا أكبرالتجار الموزعين للشاي والسكر يومذاك من الدار البيضاء الى جميع أطراف المغرب، وقد حضر ضيفا عليهما علماء من سويسرا ومن هيئة تقول بتناسخ الأرواح، بمعنى ان الروح عندما تزهق من هالك تحل في مولود غيره ممن يكون اسمى منه وأعلى رتبة، ولا تحل فيمن هو أدنى، وما كانت دعوة الشيخ إلالمناظرة أولئك العلماء السويسريين، وقد تناولت العديد من المواضيع ومنها وأهمها هو موضوع المعتقد الرئيسي لتلكم الهيئة. فبعد ان ترجم أحد اليهود عن أولئك العلماء معتقدهم في التناسخ وكان المترجم واسطة الخطاب بين الطرفين، أجاب الشيخ بأن تساءل - مُسلِّما معتقدهم تسليما جدليا- عمن جاء من عظماء البشر بعد عيسى ويُفترض أنه أسمى؟ وعرض عليهم الشيخ أسماء من العظماء منذ فجر التاريخ الى الزمن المعاصر، فأنكروا أن يكون هؤلاء العظماء في مرتبة عيسى وبالأحرى أن يكونوا أسمى ، فكان التساؤل الثاني من الشيخ وعمن يكون كالمسيح جاء بعده يدعو الى دين ويقول بأنه موحى اليه وله سمة الأ نبياء ؟فأحرجوا وما وجد وا من جواب غير القول بأنه رسول الإسلام محمد ،فعقب عليهم الشيخ بالقول فلماذا لا تقولون بأن روح المسيح حلت في محمد، وتؤمنون به كما نؤمن نحن بالمسيح عليه السلام، ونتوحد و يسود بيننا الإ

خاء والسلام .

وأثناء الحديث قال أحد المضيفين للشيخ أن مارأيه في اتهام المسيحيين لليهود بقتل المسيح عليه السلام، فتصدى الشيخ للجواب، وكعادته مع غير المسلمين ملتزما في مناقشته منطق العقل فألقى عليهم أسئلة كالآ تي :

-نسلم معكم ان يهودا هو من دل اليهود على مكان وجود المسيح فأين يهودا والتاريخ يثبت إختفاءه؟ والجواب على الأصح هوأن يهودا أضفى الله عليه صورة عيسى، فالمصلوب هو يهودا وليس عيسى وإلا فأينه يهودا ؟ .

- ونسلم معكم تسليما إفتراضيا وجدليا -وحاكي الكفر ليس بكافر-ان المسيح إبن الله أو ثالث ثلاثة، فنحن- إذن- بين أمرين لاثالث لهما، إمّا أن الله أمر اليهود أن يقتلوا ابنه، وإمّـاأنه لم يأمرهم بذالك، فإ ذا كان الله يريد قتل ابنه وقد سخّر لذالك اليهود فأنتم إذن تصبحون فضوليين وضد إرادة الله، وإمّا أن الله لم يرد هم قتله ورغمه قتلوه فلا الله ولا ابنه بأ قوى على رد اليهود، وأنتم بذالك تنسبون عجز الله عن حماية إبنه وعجز إبن الرب عن الدفاع عن نفسه، وبالتالي فالنتيجة ان إعتقاد المسلمين هوالأصح، وذالك بأن الله رفع إليه المسيح وحماه من بطش اليهود، ثم توفاه بعد، والغريب انكم على كراهيتكم لليهود وإعتقاد كم بصلبهم للمسيح، فد ولكم تسعى الى جمع شتاتهم من آفاق العالم لتوطّنهم وتقيم لهم دولة بفلسطين، البلدالإسلامي الذي آوى اليهود طوال قرون ولم يطردهم ولا شرد هم كما فعلت أوربا معهم خلال حقب من التاريخ،والمناظرة كانت قبل وعد بلفور بتقيسم فلسطين. وهكذا فقد أعجب أولئك العلماء السويسريون بنسق المناظرة وقوة الحجة لدى الشيخ، وبعودتهم الى سويسرا نشروا حوار المناظرة في صحافتهم، وبعثوا بنسخ من الجريدة الناشرة الى المضيفين اليهود، وقد أطلعا الشيخ على ذالك، وللأ سف أن الوثيقـة تلك لم يحتفظ بها بمكتبة الشيخ.

ومن مناظراته ماجرى بينه وبين أهل العلم، وأدعياء الصوفية، ومنها على سبيل المثال لاالحصر المناظرات التالية، فلما كان الشيخ بمقدمه و استيطانه بالدارالبيضاء قد

اشعلها حربا شعواء على الضلالات والخرفات، بما فيها الأضرحة والزوايا، وأدعياء الولاية، فقد عانى الكثير مع من اشربت قلوبهم تلك الترهات والهرطقات وهم كثيرون، فكم كادوا للشيخ وكم استقدموا من أدعياء الصوفية لمناظرته وإفحامه، وبالتالي إسكات صوت المناصر للسنة والمنافح عنها والمقمع للطرقية والمبتدعات الفاسدة وسآتي على بعضها وبعض ما راج فيها فقط.

## 2 ـ مناظرة أقطاب مبتدعة الطرقيين :

أ- الفقيه سليمان الدكالي: ومماكان في محاربة المبتدعة لشيخنا ان أستقدم احد أساطين الدار البيضاء الفقيه سليمان الدكالي وكان مغرقا في الصوفية،فاستدعى الشيخ لوليمة عقدهارغبة في انتصار الفقيه الصوفي، فانبرى فقيه الصوفية يسرد كرامات نسبها لبعض الأولياء، ثم سأل الشيخ عن رأيه في ذالك، فأجاب:

-ان كل كلام فيه المقبول والمردود، وكل فعل كذالك إلاكلام من لا ينطق عن الهوى

-وإن الأولياء قسمان: أولياء الرحمن وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون، وأولياء الشيطان وهم من يشترون بآيات الله ثمنا قليلا.

- وان الكرامات كذالك قسمان ، وهي مشروطة بأن تكون على وفاق مع الشرع . وليست خوارق، ولاتصل الى حد المعجزة وإلا لكانت مردودة،ثم جرى بينهما عرض لأذكار المتصوفة، فكان رد الشيخ أن منها ماهو مخالف للشرع لما فيها من تعبير عن الحلول كقولهم في رسول الله روح الهوية وعين الأعيان، فما كان من الفقيه إلا ان تعوذ بالله من ذالك وكأنه استيقظ من سبات، وخاطب الشيخ منصفا أنه على مذهب الشيخ، وانه كان يعتقد منه الإنكار على الأولياء والكرامات اطلاقا، فافترقا على وفاق بعد ان كانت المناظرة في أولها من الفقيه الدكالي حادة.

## ب- مناظرة الشاعر الأديب القاضي الشنكيطي :

وقد وفد على الدار البيضاء القاضي الشاعر السيد الشنكيطي، وكان قاضيا بوادي زم ثم باشا بتارودانت، فوجدها مناهضوا دعوة الشيخ فرصة للإجهاز على أفكار الشيخ ودعوته التي لا قبل لهم بها، فا ستدعي الشيخ لوليمة أقيمت لأجل ذالك، وحضرها قاضي الدار البيضاء الأوحد يومذاك الفقيه السيد علال الشرايبي وجماعة من أعيان الدار البيضاء، وكان موضوع المناظرة القول بالوحدة والحلول وهو مذ هب الحاتمي. فما كان من الشيخ إلا القول بأن اعتقاد ذالك كفر لأنه مصادم للكتاب والسنة وإجماع الأئمة، وذكر فتاوى علماء الإسلام في كفر أهل الحلول والاتحاد، وانهم أكفر من الذين حصروا الألوهية في ثلاثة.

فلم يذعن القاضي لذالك، وعقّب بأنه لا ينبعي الإعتراض على الحاتمي، فأجابه الشيخ إذا لم نعترض على كبريتك الأحمر الحاتمي لزمنا الإعتراض على الشريعة، فأي الإعتراضين نختار، واستدل الشيخ على القول بكفر القائلين بالوحدة والحلول بأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن أبي زرعة والحافظ ابن حجر وابن دقيق العيد وتقي الدين الفاسي وغيرهم، وقد جرّ امتداد النقاش بينهم الى ذكرالحسين بن منصور الحلاج

فأثنى القاضي الشنكيطي على الحلاج .

فعارضه الشيخ بأن الحلاج قتل بسيف الشريعة، وان ما صدر منه يعد كفرا صراحا، فانبرى الشنكيطي يصف الحلاج بالولاية وان لله فيه تجليات، وواجه الشنكيطي الشيخ بالقول إنه يخاف على الشيخ من تصرف الحلاج فيه.

فاجابه الشيخ: فأين كانت تجليات معبودك الحلاج وتصرفاته ولم تتجل فيمن أعدموه في باب الطاق وقطعوه إربا إربا: ووجه الشيخ اللوم للشنكيطي على إعتناقه مذهب الوحدة وأنت قاضي المسلمين.

-فأجاب مغضبا قائلا: بلْ قاضي الكافرين.وقد افترق الجمع على مناصرة

القاضي الشرايبي للشيخ، وعن إعتذار الشنكيطي بالقول إننا نحن الشناقطة في طبعنا حدة وذالك لحرارة جو بلادنا.

### ج- مناظرة القاضي الحاج أحمد الأزموري :

وحصل ان حضر الشيخ مرة الى دار الفقيه الحاج أحمد الأزموري وكان قاضيا بمدينة ابن أحمد من قبيلة امزاب، وكان حاضرا ساعتذاك جماعة من الفقهاء، ودار الموضوع حول الأولياء وكراماتهم وحول رؤية النبي يقظة، وكان ذالك معتقد الأزموري ويستدل له باقوال السيوطي والشعراني وأضرابهم من غلاة المتصوفة، ورغم وجود الشيخ ببيت الأزموري فلم يخف أمانته العلمية في الذود عن حياض السنة، فانبرى الشيخ منكرا لتلكم الترهات ومستدلا على مخالفتها للشريعة ولمنطق العقل والواقع، وأنها مجرد تخريف وتوهيم، فحصلت بين الطرفين مشاداة عنيفة، وما ان عاد الشيخ الى بيته حتى باشر الكتابة والتأليف ردا على معتقدات القاضي في شأن الولاية والكرامة ورؤية النبي يقظة، والمرجع اليه عند ذكر مؤلفات الشيخ تحت عنوان «لطف الله مع هبته في الرد على قاضي مزاب وشيعته»

### د-مجالس الشيخ في الرد على الفقيه الراضي الملقب بالحنش

ولما كان الطرقيون بالدار البيضاء لم يشفوا غليلهم في الشيخ، أوفدوا وفدا منهم الى فاس وهي موطن علماء القرويين،وغرضهم في ذالك القدوم بفقيه صوفي يدافع عن التصوف وأهله في وجه العدوالذي غزا مدينتهم فغيرأفكار ساكنتها، وأهان أضرحتها، وحط من شأن أ وليائها، فأتوهم بالصوفي السيد الراضي الملقب بالحنش، واكتروا له دارا رفيعة واكتتبوا له بأموال طائلة ،وموازاة مع مجالس الشيخ عقد الفقيه الراضي مجلسا له اجتمع عليه مقدموا الطرقية وسدنة الأضرحة وأ تباعهم من الدهماء، وتناول فيه شرح حكم ابن عطاء الله، وأعلن في مجلسه أن من لم يقرأ حكم ابن عطاء الله فهو ناقص الأيمان، وحُفظ عنه كذالك ان الرفاعي باع قصرا في الجنة، وأن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان يمشي فوق الماء...وأن ... وأن...وكلما بلغ الشيخ خبر ما قال الراضي في مجلسه اليوم إلاوتصدى له الشيخ في مجلسه لليوم التالي بالرد الصارم، فكانت

مناظرة غير مباشرة، وكان من بين ردود الشيخ ان رتب على قولة الراضي بنقص إيمان من لم يقرأ حكم ابن عطاء الله أن الصحابة والتابعين هم سادات المؤمنين ناقصو الأيمان لأنهم لم يقرأوا الحكم ولا عرفوها، وأين قراءة الحكم في حديث الأيمان والإسلام، وأطال الشيخ في الرد مما لم أحفظه عنه، وللشيخ مؤلف حافل اسماه.: «توفيق الله في الرد على حكم ابن عطاء الله»، ومن بين الردود كذالك قضية بيع الرفاعي لقصر في الجنة، فتساءل الشيخ هل الرفاعي أحسن من الرسول والصحابة، ولم يثبت عنهم ان أحد هم باع لبنة في الجنة فضلا عن قصر الرفاعي، وان البيع لايصح، إلا إذا كان المثمن معلوما محددا، فالمبيع مجهول الحدود والقدر والثمن والصفة وغير مقدور على تسليمه، وهو بالتالي بيع الفضولي لما يستحيل .وهكذا استمر التراشق في حرب غير متساوية، حرب الباطل للحق الذي يُكتب له النصرة من عنده،» فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» قل جاء الحق وزهق الباطل». وهذا كل ما في وسعي جمعه من الردود وما أكثرها.فانفضت الجموع عن الفقيه الراضي، فما وسعه غير المغادرة وهو يجر أذيال الخيبة والرجوع من حيث أتى.

## هـ- مناظرة الفقيه سكيرج قاضي سطات:

وكان صيت الشيخ وشهرته تجاوزت الدارالبيضاء الى غيرها من أصقاع المغرب وخاصة مدينتي القرويين وابن يوسف وغيرهما من المدن، وبينما الشيخ مرة كان يتواجد في «سطات» المدينة إذ التقاه صدفة قاضيها الفقيه السيد سكيرج وكان من غلاة الصوفية، وبعد تبادل التحية أبدي الفقيه القاضي للشيخ ان كان يتمنى لقياه والآن جمع الله بينهما صدفة فأخذه لداره، وهناك جرت بينهما المذاكرة التالية وبحضور عدل كان تلميذا سابقا لشيخنا.

بلغني انك تنكر الأولياء، فأجابه الشيخ فكيف لي ان أنكر الأولياء الذين وصفهم الله بقوله ((ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)) فهؤلاء لا ينكرهم الا عديم الايمان، إنما أنكر أدعياء الولاية وهي منه براء، وكما تعلمون فإن كل حرفة اوصفة إلا ولها وفيها أهلها والمنتحلون لها زورا، والعلماء فيهم العلماء

حقا وفيهم الأدعياء، فماكان من القاضي إلا أن سلم بذالك. -فتكلم عدل من عدول القاضي -وقد سبق له ان تتلمذ على شيخنا -وقال لا ياسعادة القاضي إن الشيخ هذا يعترض على الاولياء،وقد أعترض على قول الفقيه الراضي بان الرفاعي باع قصرا في الجنة، فقال الشيخ: هذا تلميذنا يشهد علينا «فشهد شاهد من أهلها»، وهو صادق في شهاد ته، فأخذ الشيخ يبدي وجوه إعتراضه عن بيع قصر في الجنة بالحجج البينة، فاقتنع القاضي، لكن العدل كابر وتصدى للدفاع عن الراضي، فعقب عليه القاضي بأن الراضي رجل صوفي ضعيف المدارك في العلم.

-ثم سال القاضي الشيخ عن دار الضمانة وهم يُدعون بشرفاء «وزان» يضمنون الجنة لاتباعهم ومريديهم، فأحرج الشيخ في مخالفته للقاضي فما و سعه إلا ان يلتزم أسلوبا حكيما تجنبا لأي شقاق يتطور معه الخلاف في الرأي الى مشاداة عنيفة، وعلى هذا المنوال أجاب الشيخ بدون حدة وبكل لباقة على ان المسألة خلافية، وانتم تعلمون ان خلاف العلماء رحمة، فكل من أئمة المذاهب يرى في المسالة الواحدة ما لا يراه الآخر، ومع ذالك لم يحفظ عن أحدهم ان نال من الآخر لخلاف في الرأي، وكذالك أنا وانت في المسالة، فانا أقول بأنهم لا يضمنون وإنما الضامن العمل الصالح، وكل منا ذهب مع قول، فا ستساغها القاضي على مضض وافترقا معا بسلام.

## و- مناظرة مجموعة من الفقهاء في مجلس واحد

ومرة اجتمع على شيخنا مجموعة من الفقهاء وعن قصد فكان بينهم الفقيه الصنهاجي، والعلامة محمد بلحاج السلمي، والفقيه محمد بن عائشة، والفقيه الحاج المفضل، والفقيه بن اعبود، والفقيه السباعي. وقد أخذ أحد الفقهاء من المذكورين يحكي وهو يقصد الشيخ بحكايته، وبغرض إثارته محتميا بالباقين ،وهم في مجموعهم صوفيون على درجات، فقال ان احد الأولياء كان يعترض عليه احد العلماء في مجالسه (إياك أعني فاسمعي ياجارة)، فمرالولي بالعالم وهو يؤم الناس في الصلاة فسلبه الولي علمه وقرآنه، بأن أمر ضفدعة كانت بقربه أن تأخذ علمه وقرآنه ففعلت، وما لبث ان جاء العالم الى الصوفي وتاب على يده، فأمرالجربوعة بان ترد عليه ماسلبته منه فتقايأت

ذالك، فارتج شيخنا للحكاية وفظاعتها وتصدى للمعارضة من عدة أوجه كان منها :

-إن السلب والعطاء في هذا المجال من صفات الله وليس بمقدور أحد مهما بلغ أن يسلب الغير علمه، فالعلم ليس متاعا من الأمتعة المادية المحسوسة

-إن الصوفي هذا على التسليم افتراضا بالحكاية فقد فعل حراما حيث قطع على الإ مام صلاته وقطعها كذالك على المؤتمين به، وأفسد الصلاة عليهم. « أفرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى».

-وكان من واجب الصوفي هذا ان يلقن الإمام في الفاتحة، ومن السنة ان يلقنه في السورة إن عجز أوأخطأ، ولكن الصوفي لم يفعل ماكان يجب أو يسن

-وان كيف يليق بأدنى المسلمين فضلا عن قدوتهم أن يأمرجربوعة خبيثة بأن تزدرد القرآن الكريم والعلم الشريف وهذا بهتان عظيم، فالقرآن الذي تخشع و تتصدع له الجبال والذي هو أمانة لثقلها لم تتحملها السموات والأرضين، يسوغ لمسلم ان تزدرده جربوعة ثم تتقيؤه ، فهو من هذا الصوفي ازدراء بالقران.

-إن أقبح ماقيل في هذه الحكاية أن صير هذا المبرسم القرآن قيئا خبيثا من جوف جربوعة خبيثة، وهذا كفر صراح، وقس ما قيل على مالم يقل.

فما كان من الفقيه الذي طرح الكرامة على مسامع المجمع الا أن أذعن الى الحق واستغفر الله مما صدر عنه، ولاأحد من الحاضرين عقب على الشيخ أو أنكر عليه وكأن على رؤوسهم الطير، إقتناعا ضمنيا منهم برأي الشيخ وخجلا من اعتقادهم المستحيل الفاسد.

### ز- مناظرة الفقيه النوازلي الشيخ المهدي الوزاني:

حصل لما كان الشيخ يستوطن مدينةفاس ان اصطحبه معه الشيخ الكتاني لضيافة في بيت الفقيه النوازلي المشهور الشيخ المهدي الوزاني، ولتقريب الرؤية الى مدارك القارىء لابد من الإطلاع على واقع مجتمعي تاريخذاك عاشته الطبقة الراقية

من المغاربة، فكما لا يخفى على بصير فمنذ بداية القرنين الأخيرين للتاريخ انعدم الجهاد إلا من معارك محدودة، وبالتالي فبا نعدام الجهاد الإسلامي الحق ينعدم الأسر وينعدم الرق، ورغمه فقد كان نخاسة بيع العبيد رائجة في المغرب، وماهم إلا افارقة سود اختطفوا من أمصارهم ورحّلهم النخاسون للبيع في سوق النخاسة هنا وهناك، فكنت لا تجد دارا لأحد الأرستقراطيين والكبراء والقواد والأغنياء إلاولديهم مادعوهم بالعبيد والإماء ومن ضمنهم اهل فاس يومذاك والأدهى أن منهم من يطأ تلك المختطفة بالملك.(10)

ورجعُ بنا الى الضيافة، وكالعادة فإن مجالس العلماء لاتخلو من مذاكرات ومناظرات، وكان مما أثير قضية الرق، و السؤال المطروح أن هل يكون الإسترقاق مشروطا بسبقية الكفر والأسر أم بمجرد الأسر؟ فكان جواب الشيخ الوزاني إن الكفر غير مشروط، واستدل له بقضية ابي هيتم الأنصاري، فما كان من شيخنا إلا أن انبرى للقول بخطأ ذالك، فقال إنه من حيث النقل فالرق لا يصح إلا بشرطي الكفر والأسر في الحرب، وهو ما جاء عن فقهاء الإسلام، وتلك حجة النقل،اماحجة العقل فتساءل الشيخ ألايكون من اختطف فتى او فتاة من فاس قد استرقهما في نظركم إشارة منه الى مستعبدي فاس وهم ليسوا إلا مختطفين من الأفارقة السود، ثم عاد لحجة النقل قائلا: أما الإحتجاج بقضية ابن التيهان فإن العبد هذا الذي قال فيه صلى الله عليه و سلم»خذ هذا فإ ني رأيته يصلي» فالعبد هذا قد أسلم بعد السبي، ومن اسلم بعد إسترقاقه لاتزول عنه الرقية إلا بعد تحريره. والى حد هذا، التفت الشيخ الوزاني الى الشيخ الكتاني مغضباوقال»أشكون (من يكون) هذا الرهط؟»وللكلمة في لهجتنا العامية مفهوم الحطّ والإزدراء، فاستساغها الشيخ ولم يرد.

---

(10) وقال عنه الديبلوماسي الفرنسي المدعو ايتيان ريشت في رحلته ماترجمته : ...أما سوق النخاسة فيقام ثلاث مرات في الأسبوع،...حين يعلن الدلالون فتح المزايدة، وأغلب الإماءالسودوات من السودان ، وقد حضرتعرضهن للبيع.

# من حرب الجمود والتزمت الى حرب الميوعة والتفرنج

كتب الله أن طال حياته جهاد وكفاح مستمر ودون هوادة، وفي واجهات مختلفة، فقد كافح بكل قواه الجهل المطبق على البلاد الزايانية، ومازج بينه وبين كفاح المستعمر الدخيل بالسلاح وذالك عند مقاومة صادقي الوطنية والحمية الإسلامية لجيوش الفرنسيين المكتسحين للوطن بموجب عقد الحماية.

وكتب عليه كذالك ان يقيده الله لمهمة لا تقل جلالا ورفعة عن السابقة، فقد وجد الدار البيضاء عند استيطانه لها، وقد توزع طرقيو الصوفية و سدنة الاضرحة ساكنتها، فساد أهلها الجهل المطبق بتعاليم الإسلام الصحيحة والسنة النبوية الطاهرة، فآمنوا بالخرافات والخزعبلات، واعتقد وا في البشرما اختص به الله وحده لاشريك له، وقدموا القرابين للأضرحة، وهجروا المساجد وعمروا الزوايا، وقس على ذالك، فكان على الشيخ لزوما ومن غير ان يجد مندوحة له عن ذالك أن يواجه وطيس حرب كلامية ومناقشات حادة، وتهديدات و وعيد، وسباب فاحش، ووشايات كاذبة عل اصحابها يسكتون صوته، لكن هذه المضايقات لم تزد الشيخ الاطاقة ودافعا للمزيد من نشر الد عوة الى السنة وتسفيه ودحض ضلالات الطرقية، ويذكر هذا بقولة ورقة بن نوفل لرسول الله(ص). .(( .لم يات رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي)) فقابل الشيخ هذه الاساءات بجلد الصابرين وجسارة الاقوياء بالله، واحتسب ما يلاقيه لوجهه تعالى، ودون مبالاة ولا خوف من المسيئين اليه،بل وجد لذة في أداء الواجب ومجاهدة الضلالات :

«من راقب الناس مات غما****وفاز باللذات الجسور.»

وكان مما ينعيه الشيخ على الصوفية انهم كانون عاملا على تفرقة المسلمين طرائق قددا.

بدأ ظهورهم في القرن الثاني للهجرة، يدعون اتباعهم الى الزهد في الدنيا والرهبنة،

وأحدثوا-بعدُ-بدعة الرقص»العمارة» فكان السلف الصالح لهم بالمرصاد .وظهر متكلموهم فخرجوا باراء وأفكار ما أنزل اليه بها من سلطان من اتحاد وحلول، وصدر من أدعيائهم بأنهم أهل الحقيقة وان للقرآن ظاهرا للعوام وباطنا لا يفهمه إلاالعارفون، ومعناه إباحةالمحرمات للعارفين، وتحريمهاعلى المحجوبين، وأنهم يعبدون الله لاخوفا من ناره ولا طمعا في جنته، و قد أشفى الغليل في ذالك الحافظ ابن الجوزي في كتابه» تلبيس إبليس «والحافظ ابن عقيل الحنبلي و شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم وأضرابهم، وقد تكلموا عن صوفية زمانهم وكانوا أخف بكثيرمن صوفية اليوم، فهؤلاء الأخيرون جعلوا من صوفيتهم وسيلة لجلب الأموال فأثرى رؤساؤهم من جيوب الدهماء، ويوم ان عصف إستعمارالغرب بالعالم الإسلامي وجد في أرباب الطرقية خير مساعد له، وعملوا في خدمته وأدى بهم الأمر الى الإحتماء بسلطات المستعمر، كما كان المستعمر يشجعهم إذ وجد فيهم عاملا على تاخر شعوب المسلمين وإحكام قبضته عليهم للجهل والخنوع والإستسلام الذي يد عو اليه أقطاب هذه الطرق.

فما استراح الشيخ من معاركه مع الطرقية والجمود حتى ظهرت في الواجهة طوائف مائعة مارقة تدعو الى الزندقة وغالبهم من الشباب المتفرنج، وهم من تلقوا الثقافة الغربية، فانبتت فيهم كراهية الدين واللغة العربية وإنتقاد الأباء والأجداد، وينعتون المتدينين بالرجعيين والمتزمتين، وهو استعمار ثقافي فكري اجتماعي سمم عقول الشباب، وهو أخطر من الإستعمار السلطوي والسياسي، إذ رغم زوال الإستعمار السياسي ورحيل رجال سلطاته بقيت أفكارهم ولغتهم وتقاليد هم منبتة ومسيطرة على سواد أعظم، وفشت الشيوعية بين الطلاب، وأصبح بالعالم الإسلامي المتدين أحزاب شيوعية ملحدة وأحزاب علمانية لائكية دشنتها ثورة اتاتورك بتركيا الإسلامية، وكان للمغرب الحظ الأوفر في بروز هذا الخطر بين بعض ألأحزاب وطلاب الجامعات، ممن كانوا مبهورين بحضارة الغرب وتفسخ مجتمعاته وليتهم نافسوهم في الأصلح وأخذوا عنهم التقدم الصناعي، فكان بحق رجة عنيفة صدعت المجتمع المغربي، ومن يومذاك أخذ المجتمع ينسلخ من كثير من التقاليد المغربية الحسنة، ومن أخلاقيات إسلا مية رفيعة، وقد افترقت بهم السبل واصبح المجتمع أ شبه بفسيفساء مشكلة الألوان، كل

ينحو نحوه، وليس وحدة اجتماعية متقاربة في سلوكاتها وفي تقاليدها وفي مظاهرها.
وفي هذا الجو المضطرب، وأمام هذه العاصفة العنيفة والحديثة وجد الشيخ ان الواجب يحتم عليه جهادا من نوع آخر ، فلئن كان قد واجه المغالين في الد ين الى أن غطوا بعقولا تهم على جوهر الإسلام ولبه بقشور لا تمت إليه بصلة، فهو الآن مد عوّ إلى جهاد المقصرين في الدين ممن ينتقدون مبادىء الإسلام وشعائره وتقاليده و يهزأون من علماء الإسلام، وينتقدون أفكارهم وفتاواهم ناقمين على الفقهاء وناعتين أباءهم بالرجعيين، معتزين بكل ما ياتي اويصدر عن الغربيين ومستشرين في تقليدهم تقليدا أعمى في كل شيء شيء حتى لو سلكوا جحرضب لسلكوه، الأمر الذي شمّر له الشيخ عن ساعد الجد، وأعد له العدة شفويا و كتابيا، فعقد له مجالس علمية لتحليل الأفكار الرائجة ومناقشتها ومحاجتها بالدلائل العقلية والنقلية، كما جرد لها قلمه فكتب ردودا على بعض الكتب التي تطعن في الاسلام واهله ، وللقارىء الرجوع اليه بين مؤلفات الشيخ مما سيأتي .فكان اسلوبه في نقد تلكم الأفكار الملحدة ليس كما اعتيد من الكثير من العلماء، باقتصارهم على مجرد نعتها بالكفر، بل كان على العكس من ذالك إذ كان الحكم لد يه على الفكرة لا يصله إلابعد استقرائها وطرحها للمناقشةالنقد ية وبالتالي استنباط النتيجة، وللمثال عليه فهو لا يسارع إلى نعت الشيوعية بالإلحاد إلا بعد طرح الأفكار الشيوعية ونقد ها فكريا ثم مجابهتها بنصوص إسلامية وبالتالي يقرر فيها ما يجب تقريره، بمعنى انه لم يكن يعتمد الأحكام الجاهزة دون معالجة الموضوع من جميع جوانبه.وهكذا انطبعت حياته العلمية والدعوية بمرحلتي، العالم المجتهد المجدد، والعالم السلفي الذائد عن الإسلام، فتكونت منها شخصية علمية فريدة في خصائصها، يذاكر العامة فيبسط لهم أعقد المسائل، ويحاج العلماء فيعلو كعبه وهو يقارع بين الخلافات العليا للمذاهب، و يناقش الملاحدة بالحجج العقلية فقط فيفحمهم ويترك على الأقل عند المتعصبين منهم إنطباع تقدير لعالم إسلامي مفكر وواسع الإطلاع بمختلف الثقافات، وليس فقيها حافظا مقلدا يجتر أقوال من سبقه، ويحاجج بنصوص إسلامية غير المسلمين وهم يطعنون فيها أصلا، وفي هذا الباب حضرت معه مرة مناظرة جمعته بجملة من الشباب المتمردين ممن ينعتون العلماء بالمتزمتين والمتأخرين فكان مما

حاججهم به أن عرض عليهم ما نعوه على الفقهاء من التقليد الأعمى واجترار أقوال السابقين وجهلهم بمختلف الثقافات، فتصدى لذلك بالجواب أن ما كل فقيه عالم ما لم يكن مشاركا حتى تتضح له سبل العلم، فيجد الحجة لاجتهاده ليس فقط من أحكام السابقين، بل وكذلك من المصالح المرسلة التي تولدت عن هذا العصر، ولكل عصر أحكامه، ولن يصل هذا إلا للدارس لمختلف العلوم ولأحوال المجتمعات، والإلمام حتى بدقائق الإختصاصات العلمية، فالعالم المجتهد فحتى يبني أساس إجتهاده على ضرورة من الضرورات مثلا قد يضطره ذالك الى إستطلاع بعض الخصائص الطبية، أو جهة من الجهات الجغرافية او تحليل من التحليلات الكيميائية وهو ما التزمه الشيخ في كثير من إجتهاداته، وطرح امام المجموعة الناقدة تفاسير أيات قرانية تعرض فيها لمخترعات عصرية اوجوانب فلكية اوتحليلات كيميائية ...الخ ، فما كان من تلكم المجموعة إلا ان خرجوا بنظرة مخالفة لما كانواعليه تجاه الفقهاء المقلدين الجامدين، معجبين بالشيخ أيما إعجاب.

ولقد صحت افكار الشيخ النيرة وهو ينعي على المسلمين الإنسلاخ من هويتهم الى هوية غيرهم، ويتنبأ لها بالفشل الذريع، وكذالك كان ولنا المثال في تركيا فماذا بلغته من شأن في الحضارة الغربية وما بلغته دولها من حيث قوة السلاح وتقدم الصناعة، والعدالة الإجتماعية وما شاكله، بل لا تزال ترسف في اغلال الخلافات العنصرية والدينية والسياسية، من غيرتقدم كبير في صناعات ثقيلة اوتحويلية تناهض بها الدول الصناعية ...وهي لا تزال تستجدي اوربا للإنضمام الى اتحاد ها كد ولة أوربية، وخير للأمة ان ترقى بوضعها في إطار حيثياتها الإجتماعية وماضيها التليد الذي يشّرف. وناهيك بما بلغته وستبلغه إن شاء الله وبعونه ماليزيا وأندونيسيا بين نمور آسيا في الإقتصاد والصناعة العالمية، دون علمانية، أودعوى الحادية .وبالجملة فقد كان الشيخ يمثل وسطية دين الإسلام، فلا إفراط ولا تفريط، وبهما ضاع الإسلام بين المفْرطين (بتخفيف الراء) والمفرّطين (بتشديد الراء) .

# فهرست مؤلفات الشيخ

فالشيخ رغم مشاغله بالتدريس نهارا لكبار الطلبة ومتفوقيهم، والتدريس ليلا بين العشائين لعامة الناس، وما يتطلب ذالك من المطالعة والإعداد، فلم يشغله ذالك عن تأليف الكتب وتدوين أفكاره وإجتهاداته، وكثير منها دعت اليه زوابع فتاوى من الفقهاء المقلدة أو فقهاء السوء المبتدعة، أودعاة العصرنةالمتنطعة، فكانت الكتابة بالنسبة إليه واجبا حتميا يذوذ به عن حقيقة الإسلام، ويحمي بهاأفكاره وإ جتهاداته من الضياع، كما كانت الكتابة سلوانا له يتعاطاها بإدمان، وكما عرفنا سلفا ان الشيخ كان ضريرا لعقود من السنوات فيما قبل وفاته، لذالك كان يحجز أحد نا من أولاده أو من أحفاده او أسباطه أوطلبته للإ ملاء عليه بما تجود به قريحته، ولا أخفي عن القارىء ان ما استفد ته من الشيخ وهو يملي علي، و يسألني ان كيف رسمت الكلمة فيعود بي الى قاعد تها اللغوية، ما لم أستفده من الدروس المقصودة التي كنت أتلقاها رأسا عن غيره من المدرسين.

كان الشيخ رحمه الله غزير المادة، كثير الإنتاج، ألف في إجتهادات فقهية، وفي نصرة السنة وإقماع البدع والضلالات، وفي فلسفة دين الإسلام، وكان مؤمنا بان الإسلام فضلا عن انه تعبدي فإلى جانب ذالك فهو معقول الأحكام، فكل منها لهدف من الأهداف هو لصالح الفرد والجماعة، وألف في غيرها من المواضيع التي تعنّ له، ولغريب الصدف أن هذه المؤلفات وافق عددها عدد سني عمرالشيخ، إذ فاقت الثمانين بقليل، كما أن لكل مؤلف منها قصة مثيرة دفعت الى تأليفه، ولعله حسبما هو منشور من كتب علماء المغرب المعاصرين لم يؤلف احد بقدر ما ألفه شيخنا، إذ كانت الشفوية طابع الكثير من العلماء، وللأسف الشديد ان مؤلفاته تلك لم تعرف طريقها الى المطبعة، حتى تتدوال بين الناس، وذالك لظروف مادية من جهة، ولعدم قبول الناشرين بطبع المؤ لفات التي تمت الى الدين بصلة متعللين بعدم إقبال القراء عليها، ورغم تعدد أبناء الشيخ فهم على سننه يعيشون عيشة قناعة وكفاف وعفاف، ليس بينهم غني مال إلا

غنى النفس، ولذالك لم يتيسر لهم ولو مجتمعين ان يتكلفوا أداء ملايين السنتيمات المطالب بها من لدن الناشرين، ولا يسعنا إلا ان نتذرع إليه تعالى في ان يكتب لهذه الذخيرة النشر والإنتشار.

وهذا الفهرست سأرتبه على ثلاث موضوعات علمية أساسية، وسأدمج في كل موضوع أساسي ما يقاربه من موضوعات جزئية لاتعدوالكتابة فيها الكراسة والكراستين، فإليكموها والله ولي التوفيق.

## اجتهادات فقهية

### 1- الحكم المشهور في طهارة العطور، وطهورية الماء المعالج بما يسمى بالكافور:

وهو كتاب ألفه في أول عهد إقامته بالدار البيضاء، وموضوعه مستغرب شيئا ما، ولعله إذا عُرف السبب بطل العجب، إذ الكتاب يتناول حلية التعطر بالعطر الأوربي، وبالوضوء بالماء المنساب من أنابيب الماء التي زودت بها سلطات الحماية بيوت السكان، ومياهها معالجة بمبيدات الجراثيم، ولذالك اعتبرها بعض المتزمتين مخلوطة بما ليس من جنسها، ولعلته لا يجوز التوضؤ بها.

كما حرم بعضهم العطر الأوربي لأن الكحول من مشتقاته وهو خمر يحرم شربه، ونجس تجب طهارته، فكان سكان الدارالبيضاء في أول عهدهم بالحماية الفرنسية يهرولون عند رغبتهم الوضوء للصلاة الى طلب الماء ممن يوجد في بيته بئر، كما يتوجه من يسكنون قرب الشاطىء الى التوضؤ بماء البحر، أامام هذا الحرج والإنغلاق على التزمت والتقليد جرد الشيخ قلمه بتأليف الكتاب المذكور، كما أطلق لسانه بالحلية في مجالسه وفتاواه لمن انكبوا عليه يستفتونه، وكان له مع بعض الفقهاء مناظرات ومساجلات في موضوعه، وعلى رأسها مناظرته ورده على القاضي الأوحد للمدينة يومذاك وكان يفتي بعدم جواز الوضوءبماء الصنابيرالمعالج، وما أن انتشرت فتوى

الشيخ بين أوساط السكان، حتى أقلعوا عن تلكم الإحراجات والتشديدات في الدين، وارتاحوا لفتوى الشيخ و شكروا له ذالك. وقد قال فيه الإبن البكر المرحوم سيدي أحمد شعرا، منه:

كتابا قد حوى مسكا وطيبا *** وماهو إلا مستند الفحول

إذا ما الكتب جلت او تعالت*** تروم الفخر بالحكم المشهور

## 2- الآيات البينات فيما قاله الشيخان عبده ورضى في تعدد الزوجات

وهو مؤلف تناول بالمناقشة ما جاء على لسان الشيخ رشيد رضا وشيخه محمد عبده في كتاب تفسير المنار، وذالك عند تفسير قوله تعالى :..((فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ..الآية))

والخلاصه ان شيخنا يناصر تعدد الزوجات، ويستدل لذالك بحجج فقهية وظروف أخلاقية وإجتماعية وبيئية ...إلخ

**3- القول الفائز في التحليل الجائز**: مؤلف يتناول موضوع تحليل المطلقة ثلاثا، وشروط المحلِّل (بكسر اللام)والمحلَّل له(بفتحها). وهو من الشيخ تيسير لمن وقع في هذا المحظور وحن الى الرجوع الى زوجته المطلقة ثلاثا، وقد رفع به الحرج عمن تورط في طلاق ثلاث، وندم على ذالك

## 4- القول الفائز في نفي التهليل على الجنائز :

وهو تأليف دعا إليهماابتدعه الناس في تشييع الجنازة من التهليل والتكبيربأصوات جماعية مرتفعة، وما افتى به بعض أدعياء العلم بأن ترك الميت بلا غسل أخف من ترك التهليل على جنازته، فتصدى الشيخ بمؤلفه هذا بالحجة والبرهان على ان السنة تشييع الجنازة بالصمت والتدبر والإعتبار. وكان الفراغ منه يوم الجمعة 28 ربيع الثاني عام 1361 هـ

## 5- المستغنم في رفع الجناح عن المستخدم :

أنه لماكان المغرب يرزح تحت نيرالإستعمار، وكان بعض المغاربة مستخدمين لدى الفرنسيين في المعامل والمتاجر والضيعات الفلاحية والإدارات العمومية والخصوصية... الخ كان اغلبهم يمنع المغاربة المسلمين من أ داء فروض الصلاة في مواقيتها، فكانت مشكلة في وقتها استفتي الفقهاء في شأنها فأ فتى بعضهم بالإستقالة من العمل وارتباط الصلاة بمواقيتها، وان ليس الشغل من مبيحات الجمع بين الصلاتين. وأن الرزق على الله إن استقال العامل، فاستفتي الشيخ بما عرف عنه من علو كعبه في الإجتهاد فأفتى بالجمع جمع تقديم بين الظهرين وبين العشائين او جمع تأخير حسب فترة عمل الشغيل ولاجناح عليه في ذالك.

## 6- كشف النقاب في الرد على من خصص أزواج النبي بأية الحجاب:

المرأة المغربية كانت محافظة على الحجاب الى أن ظهر على الساحة في الأربعينات الى الخمسينات دعاة السفور، وكانوا من هيئات سياسية استعانت على دعوتها تلك ببعض العلماء ممن وصفوا بالتجديد والعصرنة بينما وسم غيرهم بالتزمت والتحجر، فكان من حجة دعاة السفور آية الحجاب في القرآن هي بخصوص أزواج النبي عليه السلام. فكان هذا هو الدافع لشيخنا بتأليف هذ الكتاب وتبيان عمومية الآية، وحجته في ذالك الكتاب والسنة والإجماع .

ورغم دعوته للحجاب فهولم يغرق في التشديد، وانما يتشدد في تبرج المرأة المسلمة، ولايقول بمنعها من العمل ان احتاجت اليه، وللمرأة كشف الوجه واليدين ولكن في ظروف من الحشمة والوقار.

## 7- حكم السنة والكتاب في طعام وذبائح أهل الكتاب:

وهو مؤلف جاء وسطا في أحكام ذ بائح أهل الكتاب، فهو مع حليتها إن ذبحت من مقتل وذكر عليها إسم الله كما هو في ذبائح اليهود، أما ما عداه من التصفية الآلية العصرية، ومن الإجهاز على البهيمة بضربة مطرقة على الجمجمة فهو حرام، وفي

الحالةالأ خيرة هذه تناول الشيخ في مؤلفه ردودا مقنعة على ما قاله الشيخان محمد عبده ورشيد رضا في حلية ذالك، لكن شيخنا أحله للضرورة خاصة للجاليات الإسلامية المقيمة في الديار غير المسلمة.وكان الفراغ منه أواخر ذي الحجة عام 1383 ه

## 8- السداد والإرشاد إلى رخصة الإفطار في رمضان للدراس والحصاد:

هو من ضمن المؤلفات التي اختصت بالرخص الد ينية التي يحب الله ان توتى كما تؤتى عزائمه، وهو ما يبين للقارىء نفي التزمت في الدين وركوب الإغراق في التدين الى حد الإضرار بالنفس وبالمصالح ولا صلاح للأديان إلابصلاح الأبدان .ووافق حسب الدورة الفلكية ان جاء شهر الصيام في عز صيف شديد الحرارة، والفلاحون في شاغل من أمر حصاد محصول الحقول أو دراسه بالبيادر، وما يستتبع تلك الأشغال تحت لفح الشمس وشدة الظمأ من المشقة والعناء. فكان أن نشرببعض الجرائد يومذاك فتاوى متشددة لاتبيح الإفطار، فانبرى الشيخ كعادته الى إصدار فتواه في مجالسه ولدى مستفتيه وفي كتاباته، فكان هذا المؤلف جامعا لأفكاره في الموضوع.

## 9- الحكم الأجدى في حظر ترخيص إفطار رمضان لقليل من الأذى:

وهو مؤلف لايبيح الإفطار لمجرّد الإحساس بآثار الجوع والعطش، ما لم يشتدّ معه الضرر المؤثر على صحة الصائم.

## 10- اللمعة في أن كل مكان تصح فيه الجمعة:

مؤلف من مؤلفات الشيخ الذي يدفع به عن المصلين الحرج في دينهم، ويمهد لهم الأخذ بالرخص كما ياتون بالعزائم، وسببه ان ضاقت الجوامع يوم الجمعة بالمصلين فافترش المصلون الأفنية والطرقات، وربما الد كاكين المتصلة بالمسجد فقامت الضجة مستنكرة ذلك، واستفتى الشيخ في أمره، فأفتى بصحة الصلاة في تلك الأمكنة، كما أفتى بأن شرط إقامة الجمعة بالمسجد الجامع غير صحيح و يمكن إقامتها في أي مكان كان عراء أو طريقا أو...،وموجبه عزز فتواه ومجالس التدريس في شأنها بتحرير هذا المؤلف. وفرغ منه بتاريخ 25 رمضان عام 1352 هـ

## 11- الفائدة المسموعة في لزوم طلقة واحدة في الثلاث المجموعة:

...جرى العمل بالمغرب في تلك الحقبة من الزمن أن كان العد ول يتلقون طلاق الثلاث في كلمة واحدة، وقد تعزز فعلهم هذا بمنشور وزارة العدل وعلى رأسها تاريخذاك الفقيه الحجوي، كما كان الكثير ممن وقعوا في هذا الحرج وسبقهم لسانهم الى جمع طلاق الثلاث في كلمة واحدة يقصدون الشيخ فافتاهم بلزوم طلقة واحدة وعدم لزوم الثلاث، كما أقدم على الكتابة في موضوعه محللا النازلة هذه تاريخيا وفقهيا وناقشها كذالك بالمنطق والعقل وأفضى به ذالك الى الوقوف على قاعدة صلبة بلزوم الواحدة دون الثلاث. وكان الفراغ منه في 17 ربيع النبوي عام 1369 هـ.

## 12- كشف الخِدر في ما وقع من الهرج في زكاة الفطر:

وهو أحد المؤلفات التي ترد على المتشددين في الدين، وقد بالغ بعضهم أن الزم إخراج زكاة الفطرمن القمح لأنه غالب طعام أهل المغرب ولو لزم الأمر بيع حاجات مخرجها للحصول على القمح، فأ نبرى الشيخ بمؤلفه هذا الى دحض تلك التشديدات بالنقل والعقل، وبلغ به ركاب المناقشة الى تاريخ زكاة الفطروفرضيتها، فوصل الى انها فرضت قبل الزكوات المعروفة، وقال فيها بعض الصحابة أن لمافرضت الزكوات سكت رسول الله عن زكاة الفطر فلم يُدر أبقيت من بين الزكوات المفروضة، أم نسختها تلك الزكوات، وكانت نتيجة هذه البحوث أن زكاة الفطر تجوز بالنقد وهو الأولى لظروف العصر وللهدف المتوخى منها وهو التوسعة على ذوي الحاجة يوم العيد.

## 13- البحث الجلي في دلائل تكفير من لا يصلي:

وقد خلص منه الى أن الكفر كفر دون كفر، وأن تارك الصلاة ليس بكافر تماما. مادام الشخص يشهد ان لاإله الاالله وأن محمدارسول الله.

## 14- الحق المثبت لجواز كراء الأرض بما تنبت

## 15- الصحيح بلا مرية في الحكم على التأمين بالحرمة

### 16- القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب:

وهو يعني إباحة إقامة الصلاة جماعة ممن فاتهم الصلاة مع الإمام الراتب.

### 17- إعفاء اللحية زينة رجال السنة:

وهومؤلف دعت إليه ظروف خطيب جمعة صلّى بالناس وكان غير مُلتحٍ، فقامت عليه ضجّة، فكتب عنه شيخنا بأن حلق اللّحية غير قادح في الإمامة، ولا هو شرط فيها. وإعفاؤها سنّة وزينة الرجال وإطلاقها محدود.

### 18- القول المؤيد في أن التيمم يرفع الحدث الرفع المقيد:

هو مؤلف فقهي يرد به على من يقيد التيمم في رفع الحدث، ولا يسوي بين المتيمم والمتوضىء بحيث لاتؤدى به الاصلاة مفروضة واحدة و لايباح ان يأتم متوضىء بمتيمم، عدا ما قيل من حصرالأعذار التي تبيح التيمم، وقد بسط الشيخ في مؤلفه هذا واحدا وثمانين عذرا مبيحا للتيمم .وسوى بينه وبين الوضوء لافرق.

### 19- إرشاد الحيارى في تحريم زيّ النصارى:

### 20 - مدلول السنة في السلام عليكم ورحمة الله:

### 21- حل إبرام النقض في الرد على من طعن في محلول سنة القبض:

### 22-السيف المسلول في رد تضليل من ترك السيادة في صلاة الرسول:

## مؤلفات في مناصرة السنّة المطهّرة ومحاربة الطّرقية والبدع الضالة المضلة

### 23-حكم الكتابِ والسنة في وجوب هدم الزوايا والأضرحة

على أعتبار أنها مساجد ضِرار، والأضرحة عبارة عن اماكن لطقوس تتنافى مع روح الإسلام في تفرّد الله بالخلق والمنع والعطاء. عدا ما يجرّانه على المسلمين من اختلافات وتجهيل وتخلّف.

## 24-الدلائل البينات في البحث في دلائل الخيرات

وشرحه مطالع المسرات:

تناول فيه البحث مع صاحب دليل الخيرات وشارحه صاحب طلائع المسرات، وما جاء به من صلوات ودعوات ونسبة بعضها الى النبي وصحابته، وما فيها من مخالفات وغلو تشتط به عن قواعد الإسلام وأسسه وروحه.

## 25-الذكر الملحوظ في نفي رؤية اللوح المحفوظ :

دعت الى تأليفه مزاعم أدعياء الولاية والصلاح برؤيتهم للوح المحفوظ، ورؤية النبي المصطفى له، ويتساءلون ان كيف لايعلم الرسول ما في اللوح المحفوظ، وهو من الكائنات المخلوقة من نوره، وغيره من المزاعم التي لا سند لها من كتاب أو سنة، وإنما هي شطحات صوفية ومهاترات، وقد ناقش الشيخ في مؤلفه هذه المزاعم تلك ودحضها بحجة النقل والعقل.

## 26-ايقاظ الهمم في أن عهود مشاييخ الطرقية لا تلزم:

وهو مؤلف يتناول تلك العهود التي يأخذها مشاييخ طرق البدع والضلالات على موريديهم وأتباعهم حتى يُحكموا الوثاق عليهم خديعة ومكراً، والتي يتهيب معها هذا المعاهد الرجوع عنها وعدم الوفاء بنذره لمشايخه، فكم من مريدي الطرق الضالة اقتنع بدعوة شيخنا الى السنة النبوية الحقة لكنه لانخداعه من المشايخ في الله،يتهيب الرجوع عن تعهده لشيخ الطريقة، فوجدها الشيخ فرصة للكتابة في الموضوع، مما وجد معه التائبون واجبا حتميا في نبذ الباطل والرجوع عنه الى الحق المبين، وفي ضمن هذا المؤلف تعرض الشيخ للبيعة مطلقا وخلص منها ان لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

## 27- من أحسن ما تصغي إليه الأسماع في نقد ما اشتمل عليه ممتع الأسماع في الجزولي وأصحابه والتباع :

وهو كتاب نقد لما اشتمل عليه كتاب «ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من أتباع»، وقد رد فيه على شطحات الصوفية وترهاتهم وما ينسب الى مشايخهم من الخوارق التي لا يقبلها العقل، ومن الأوصاف السنية التي لايتصف بها بشر، ولاتقرها الشريع وقد ضمت هذا المؤلف سبعة دفاتر من الحجم الكبير. وكان الفراغ منه في 30 شعبان عام 1384 هـ

## 28- البراهين العلمية في بيان مافي الصلاة المشيشية

وهو تأليف ينضم الى التآليف التي تتبع فيها الشيخ شطحات أهل الطرق وسدنة الأضرحة، وكما تولى بالرد والدحض مزاعمهم في الخوارق والكرامات، وتطور أوليائهم من حال الى حال، فلم يفته أن يشدد طوق الحصار عليهم فتولى كذالك الرد على صلواتهم ودعواتهم ،وتقريره فيها أنها ليست من الشريعة في شيء، بل هي أقوال وإدعاءات لاتقرها طبيعة الله في سيرهذا الكون، كما أنها في أغلبها خروج عنها ومروق منها، وبموجبه سل قلم الحق في بطلان و إبطال مهاترات الصلوات المشيشية، وما فيها من غلو وخروج عن شرع الله، وخرق للسير الطبيعي لهذا الكون وللقدرة المحدودة لهذا الانسان.

## 29- تنبيه الرجال في نفي القطب والغوث والأبــدال :

وهو من جملة المؤلفات التي تصدت لضلالات المبتدعة وأدعياء الولاية،ومن ترهاتهم ان أضافوا على منتحلي الصلاح والولاية درجات ومقامات منها القطب والغوث والبدل وما شاكل ذالك .

ويدعون ان لابد لله من خليفة في ارضه قد يكون متصرفا ظاهرًا فقط كالسلاطين، وباطناًكالأقطاب، وقالوا عن الأقطاب أن لهم وزراء هم من النجباء والنقباء والأغواث

والأبدال. وعندهم أن من لاشيخ له فالشيطان شيخه

وشيخنا تصدى بمؤلفه هذا لدحض هذه الترهات، وأشاع بين الناس في دروسه الشفوية وفتاواه فريتها على الله وعلى الإسلام . وتم تأليفه سنة 1348هـ

### 30- القول الجلي في رد القول بتطور الولـي :

وهو رد على فتوى للسيوطي بأن الولي يتطور مما يثبت له تعدد في ذاته فتقيم ذات وترحل أخرى وتسكن ذات وتتحرك أخرى، مع الزعم بأن ذالك من صفة الابدال، وقد راج هذا المفهوم المفترى بين أدعياء الولاية و أشاعوه بين مريديهم، الأمرالذي تصدى له الشيخ كعادته من أجل استقصاءكل ادعاءات مشايخ الطرق وضلالاتهم بالرد والدحض تنويرا للعقول ودفاعا عن الإسلام المفترى عليه .

### 31 -الإستفاضة في أن النبي لا يرى بعد وفاته يقظة:

كتبه ردا على السيوطي في كتابه «تنوير الحوالك في إمكان رؤية النبي والملائك»ويعنى به إمكان رؤيتهم ورؤية الأموات بأرواحهم وأجسادهم في دار الدنيا. وهو كذالك رد ضمني على الطائفة التجانية وهم من عاداتهم إ خراج أورادهم بعد العصر في حلقات ينشرون وسطها أزارا أبيض، ويزعمون أن النبي (ص) يقتعده أثناء إخراج الورد.

### 32- لطف الله مع هبته في الرد على قاضي امزاب وشيعته:

وهو ردٌّ على أفكار صوفية يتبنّاها القاضي المذكور رغم مخالفتها للسنة النبوية الطّاهرة.

### 33 - الزُّهْرَة في ردّ غلـو البـردة:

وهو واحد من أربعة تآليف يتعلق بالغلو في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذهبت بعض الأمداح الى إضفاء صفات الأ لوهية على الرسول، وبعضها

أزرت بمقام جميع الأنبياء والرسل لتجعلهم لاشيء امام سيدنا محمد، وانه علة هذا الوجود كما اعتقد بعض المادحين ،وقد تناول الشيخ الرد على ابيات قصيدة البردة وعلى شراحها.

## 34-الحجج العلمية في رد غلو الهمزية:

وقد تناول فيه ما تناوله في البردة

## 35-أصفى الموارد في الرد على غلو المطربين وأ هل المواليد:

وهو مؤلف يرد على جوقات المادحين ،وما تحتويه ألفاظ المدح من غلو، وعلى أهل المواليد أيام عيد المولد النبوي وما ابتدعوه من طقوس لاتليق بالإسلام.

## 36-الدرّة الوهاجة في نفي صحبة بني يدغوغ وركراكة:

وهو كراسة من ضمن المؤلفات التي تناهض مفتريات المبتدعة على الدين وعلى التاريخ، ومنها أن ادعى أطراف من بني يدغوغ ورجراجة من قبيلة الشياظمة صحبتهم لرسول الله فتصدى الشيخ لدحض هذه الفرية على التاريخ وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهم في فريتهم تلك رسالة مكذوبة تنضح إفتراءات وأراجيف قد تثيرالإستخفاف لصبيانيتها وإستحالة الربط بين أحداثها، ولللا معقولية وقائعها، ومن الترهات القول بأن ودعهم الرسول وقد مد اصبعين من يده الكريمة فأنبتق منهما نوران امتطت رجراجة أحدهما وركب بنويدغوغ ثانيهما فقطع النوران بهما الفلوات والبحار الى أن وصلا الى الشياظمة،مع ان الفتح الإسلامي لم يكن إلابعد وفاة الرسول، كما أن الإسلام لم يصل المغرب إلابعد حقب من وفاتـه عليه السلام.

## 37- الرسالة الشاقة في قمع شنقيطي أيت واقا.

## 38-تحفة الأماني في الرد على أصحاب التجاني.

## 39 -نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس:

وموجب تأليفه هذا ماكان يتربص به أعداء السنة من الإجهاز على الشيخ وإسكات صوته، فواتتهم الفرصة والشيخ قرر في مجلسه ما قرر في تفسيرإستواء الله على عرشه، فقامت قيامتهم وحشدوا لها كل مضطغن حقود فلعنوا وشنعوا وشكوا الى السلطات وقضاة المدينة، وتولى كبرها دعيّ علم كان جاسوسا للفرنسيين مسلطا على الشيخ وآل الأمر الى توقيف الشيخ عن مجالس الدرس بالجامع المحمدي، نحوًا من أربعين يوما، وعقد مجلس للمناظرة بدار القاضي فجمع له كل دعية للعلم فكان ان أخرس الله ألسنتهم وعجزوا عن تأييد طروحاتهم ، ورغمه تمسكوا بتعصبهم و ميولهم، وحدث ان لجأ أحد هم الى أحد علماء فاس وبيده ذخيرة وريقات تركها له والده، ومضمونها ان السلطان الحسن الأول وأ ثناء ختمة صحيح البخاري بين يده على عادة السلاطين العلويين طرحت مسألة الإ ستواء على العرش فوقع في شأنها خلاف بين العلماء الحاضرين بمجلسه، وكان الخلاف بين علماء فاس والشيخ عبد الله السنوسي من علماء طنجة، فأمهل السلطان الطرفين للغد كي يدلي كل طرف بما عنده كتابة، فأتُى بتلك الوريقات لتنشر على المسامع ،بينما الشيخ السنوسي لم يوفق في الرد عليها تأييدا لمذ هبه فأقصي من مجلس السلطان. وقد حملت هذه الوريقات الى السلطان سيدي محمد بن يوسف بقصد الإنتقام من شيخنا، فكان ذالك سببا في استقبال السلطان للشيخ وحفاوته به وصلته له والسماع منه، والأمر باستئناف شيخنا لمجالسه العلمية .وقد مد أحد الفضلاء شيخنا بتلك الرسالة فتولا ها الشيخ بالرد عليهاجملة وتفصيلا .

## 40-الإلمام في رد ما ألحقه مبتدعة زايان من العار بالإمام:

وهوأن أحد العلماء وهو مو لاي الطيب العلوي الذي أقام بعد بفاس، وأسس بها مد رسة عصرية ،وكان من أوائل رجالات الوطنية، حدث أن اقيم مسجد جامع بمريرت، فأُتمَّ الناس في صلاة الجمعة بمولاي الطيب المذكور، لكن بعض المتنطعين من المبتدعة قد قدحوا في إمامته لالشيء من شروط الإمامة إلا أنه كان قد انسلخ من طريقة من طرق أدعياء التصوف، والتزم السنة النبوية الشريفة، فاستنجد الإمام هذا بالشيخ ليشفي غليله فيمن أنكروا عليه إمامته فكانت هذه الفتوى جامعة مانعة في كراسة فرغ

من تحريرها عام 1351 هجرية.

### 41-الميزان العزيز في البحث مع أهل الديوان المذكور في كتاب الابريز:

في هذا المؤلف كذالك يتناول الشيخ زعما من ضلالات المبتدعة، فيما جاء عن الشيخ عبد العزيز الدباغ في كتابه الإبريز :ومن جملة ما يختلق على الإسلام أن للأولياء ديوانا يجتمعون فيه فيجلس الغوت ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى والأقطاب الأربعة على يمينه والوكيل أمامه وينسب إليه التصرف في الكون...إلخ الترهات والأراجيف التي تسيء الى الإسلام، وتخدر عقول المسلمين وكان الفراغ منه سنة 1372هجرية.

## مؤلفات في الفكر الإسلامي والعقائد

### 42-توفيق الله في الرد على حكم ابن عطاء الله:

بعد أن ألف الشيخ كتابه: الفضل والمنة في البحث في حديث لن يدخل احدكم عمله الجنة، وتناول فيه مناقشة أصحاب ابن مشيش والشاذلي وأ تباعه في الوحدة، ورأى الشيخ استطرادا لتلك البحوث أن يتتبع بعض حكم ابن عطاء الله وبعض شراحه كابن عجيبة، وذالك لدلالتها القوية على مذهب الجبرية والحلولية والإتحادية وللمثال ان نقل ابن عجيبة في شرحه عن الشيخ العربي الدرقاوي أنه سمع الفقيه البناني يقول: كادت حكم ابن عطاءالله ان تكون وحيا، ولو كانت الصلاة تجوز بغير قرآن لجازت بكلام ابن عطاءالله. والتأليف هذا من أكبر مؤلفات الشيخ، وقد ضمه أكثر من عشرين دفترا متوسط الحجم، وهو بحوث في الفكر الإسلامي، ومناقشات أراء الطوائف الإسلامية في العلاقة بين العبد وربه.

### 43-الأبحاث البيضاء مع الشيخين عبده و رشيد رضا .

وهو مؤلف في البحث مع الشيخين فيما معناه عندهماأن الآيات القرآنية لا تدل

صراحة على أن الله خلق البشر كله من آدم بل هي مبهمة تحتمل و تحتمل، وهو قوله تعالى : » يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ...الآيـة

والرأي لدى الشيخ هو وحدة أصل الإ نسان في آدم عليه السلام، وله في ذالك مباحث جليلة وقوية ،وكعادته كانت مستنداته نقلية وعقلية قوية الحجة والبرهان

## 44-الإرشاد والتبيين في البحث مع المرشد المعين :

دعاه للكتابة البحث مع شراح المرشد المعين للشيخ الجليل ابن عاشر في مقدمة علم العقائد ومافي هذ ه المسائل مما يغالط الد ليل الصحيح او يخالف راجحه، كالإلتزام بعقيدة الأشعرية وطريقة الجنيد، وما قيل في صفات الله وفي إثبات الجهة له، وفي وحدة الذات وفي إستواء الله على عرشه، وقس عليه ماشاكله.

وهو مؤلف مضمن في 3 دفاتر من الحجم الكبير، وقد فرغ من كتْبه وتصحيحه في ثامن ذي القعدة عام 1376 هـ موافق 05 .06 .1957 .

## 45-المستغنم في خلود الجنة و فناء جهنم :

هو كتاب نفيس تطبعه فلسفة وروح الإسلام، فلئن كانت الأ عمال بالخواتم، والجزاء بالأعمال، فقد كان وعد الله لعباده بالجزاء يوم القيامة، فإما الجنة وإما جهنم وكلاهما منذور بالخلود لكن التساؤل المطروح بإلحاح ان هل الخلود مطلق أم مقيد. وعلى هذا المنوال كان بحث الشيخ في تأليفه هذا فناقش الموضوع كعادته نقلا وعقلا، فمن حيث النقل ساق العديد من الإستدلالات ، وركز على آيات التبشير بالجنة والإنذار بالنار، فهداه البحث الى أن ذكرخلود النار جاء مقيدا، يقول تعالى، خالد ين فيها أبدا ما دامت السموات والأرض...، ويقول :خالد ين فيها أبدا إلا ما شاء ربك بينما عند ذكر خلود الجنة ترك العبارة مطلقة وغير مقيدة .واستنتج ذالك كذالك من أحاديث نبوية شريفة،ومن حيث العقل افترض كثيرا من الفروض اهمها ان لو افترضنا شابا كافرا مات بعد بلوغه سن الرشد بقليل فهل من رحمة الله وعدله ان يخلد في النار أبد الآبدين، فوصل به البحث الى فناء جهنم آخر الأمر و بمشيئة الله وعفوه وقد كان

الفراغ من تأليفه بتاريخ 24 جمادى الأولــى عام 1370 موافق 02 مارس 1951

46-أوثق العرى في أحكام الشورى :

فالشيخ يناقش في هذا المؤلف أحكام الشورى في الإ سلام، ويعارض أسلوب الدول الغربية فيما يدعونه بالديموقراطية.

47- الإرشاد والسداد في فضل ليلة القد ر على ليلة الميلاد

48- بحث الحق وأهله، مع صاحب الحِكَم و شيعته

49-الفضل والمنة في حديث لن يُدخِل أحدَكم عملُه الجنة

50-العارفون الأبرار يعبدون الله طمعا في الجنة وخوفا من النار

وهومؤلف يرد به على مهاترات بعض أدعياء الولاية والصلاح،في زعمهم أنهم يعبدون الله حبا فيه لاطمعا في جنته ولاخوفا من ناره

51-الفوارق الجلية بين القوانين الوضعية والشرائع الإلهية

52- التبشير بالجنة لا يختصّ بالعشرة.

## مؤلفـات علميـة

53-القول المعلوم في إباحة النظر في النجوم

54-المسائل البديعة في البحث مع أهل الهيئة والطبيعة

55- إظهار الحق والإنتصارفي البحث مع صاحب توجيه الانظار لتوحيد المسلمين في الصوم والافطار:

وهو تأليف دعا إليه ما ذاع و شاع في إبانه من دعوة الى توحيد شهر الصيام في جميع

قارات العالم .وقد وقف الشيخ يومذاك على كتاب معنون»بتوجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار «فكان المادة التي تناولها الشيخ بالبحث والمناقشة، وفي إجتهاده أن التوحيد غير ممكن ولامتيسر، وذالك حسب نتائج بحثه فلكيا وجغرافيا وفقهيا.

### 56-الابحاث والعبر في نفي وصول الصاروخ الى القمر:

### 57 -شفاء الصدورفي أن الشمس سائرة ،وأن الأرض ساكنة لاتدور

## مؤلفات في مقارعة الأفكارالغربية الدخيلة

### 58- سيف النكال والزجر في الرد على من قال لكيلا تحرثوافي البحر

وهو تاليف يرد فيه على كتاب صدر لكاتب مصري مشهور يدعى محمد خالد، وقد أسماه :لكي لاتحرثوا في البحر، وتأليف الشيخ تناول ما احتواه كتاب محمد خالد من تطاول على الإسلام والمسلمين، واستهجانه لأحكام الاسلام و أوامره ونواهيه . وفي نظريةَ الشيخ أن الإسلام دين ودولة، وهو بحق أحد المؤلفات المواجهة للعلمانيين والمستهجنين لشعائر الإسلام وأحكامه .

وأعلق هنا على أن المؤلِّف هذا رجع-بعدُ-عن هذا في مؤلفات له لا حقة، وقال بأن الإسلام دين ودولة وحق وقوة، وعبادة وسياسة، وثقافة وحضارة، وإخاء وتعارف، من كتابه «الدولة في الإسلام.

### 59-الإعلام في الرد على من حقر بعض شعائر الإسلام

وهو رد على مقال صدر بجريدة العلم عدد 1563 بتاريخ ذي الحجة عام 1370 موافق09شتنبر1951 تناول فيه كاتبه تحقير دور خطباء الجمعة، وما تتناوله خطبهم من وعظ وإرشاد، وقد تناوله بنقد لغة الكاتب وأسلوبه كما نقد مفاهيمه من حيث

اساءتها لبعض شعائر الاسلام، كالأضحية يوم عيد الأ ضحى.

## مؤلفات وكراسات في مواد مختلفة

### 60-البراهين البينات في أن الانساب ظنيات لا قطعيات:

إدعاء النسب الشريف كان ظاهرة في المغرب، «فكل يدعي وصلا بليلى»، والشيخ وقد جند نفسه لتتبع جميع المثالب والإنحرافات لتطهير المجتمع الإسلامي منها، تولى هذه الظاهرة بالبحث والنقد .فكان من ردوده ان الشرف شرف محمد بالرسالة، ولن يكون شرف النسب-تجاوزا-إلا للأبناء الذكور لا البنات فأبناؤهن أسباط أبناء رجال أباعد

بنونا بنو أبنائنـا و بناتنـا *** بنوهن أبناء الرجال الأباعد

والشرف الحق شرف أتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم وليس شرف النسب.

لقد رفع الإسلام سلمان فارس ***وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

إن الأنساب مع مرور حقب الزمان لم تحفظ حق الحفظ حتى ان علماء الأنساب اتخذوا لذلك قواعد لإلحاق انقطاع جد أدنى عن جد أعلى وهو مظنة شك و ريب، ويترتب عليه أن لا شرف إلّا شرف الإسلام والتقوى.

ولله درّ من قـال:

يقولون نسل المرء يحيى بذ كره **** وليس له ذ كر إذا لم يكن له نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي **** فإن لم يكن لنا نسل فأ نا بها نسل

### 61- رد طعن الطاعنين في سحر اليهود لسيد المرسلين ..

**62- مناهج الرجال في الرد على الشيخ رحال**

**63- الإختصار في جواز الشكوى والإنتصار فرغ منه في رمضان المعظم عام 1348.**

**64-الأجوبة الشافية على الأسئلة العباسية**

سئل في شأن خزانة كتب زاوية تنا غملت بهنتيفة، وهي سجينة بالخزانة لا يطلع عليها مطلع ولا يدرسها دارس.

**65-وشيح تزيين الأرائك في إرسال النبي الى الملائك**

وهو رد على السيوطي وغيره ممن يقولون بأن النبي محمدا صلى الله عليه و سلم مرسل كذالك إلى الملائكة.

**66-الحياة و الفوت، فيما هو الحق في تمني الموت**

وموجبه أن عاب بعضهم على الشيخ تمني لقاء ربه وهو على فراش المرض .

**67-تحفة الرسائل في أنواع من المسائل.**

**68-بيان أدلة التواب المجملة وتقييدها بالدلائل المبينة.**

**69-التهاني في أجوبة الفقيه العثماني.**

**70-التذكرة في جواب النكرة**

**71- التقاليد المحتملة في بيان الدلائل المجملة.**

**72-خير المتاع في بيان أخطاء فقيه بني السِّباع:**

**73- تحفة الأصحاب في ذم الإرهاب :**

وهو مؤلف من جزئين، وقد تعرض فيه لما ابتلي به العالم الإسلامي من الثورات

والمقاومات التي لاأساس لها من أحكام الإسلام، وإنما هي تقليد لشعوب ملحدة أقامت ثورتها ومقاومتها على غير هدى من دين فقتلوا وذبحوا وأحرقوا...و..من المجتمع من لاعلاقة له بما يزعمون، وذالك غيلةوغدرا،وقد تتبع مختلف الوقائع بالبحث فيها واستنباط أحكام الشرع في شأنها، وخلص الى أنها إرهاب وغيلةوغدر وقتل النفس بالباطل، وليست جهادا والدين منها براء.

## 74- المثاني والمثالث في مناقشة صاحب الخطبة وما فيها من مباحث

## 75- النصر والتمكين في وجوب الدفاع عن فلسطين.

وهو كتاب ألفه الشيخ سنة 1948 إبان حرب الاستنزاف بفلسطين، غيرة وحمية من الشيخ على الإسلام، ويسوق فيه حكم الإسلام في وجوب الدفاع من كل المسلمين قاطبة عرباًوغيرهم بغض النظر عن انتماءاتهم، ويذكرني هنا أن كان الشيخ يمتنع عن اقتناء الراديو لأ هل داره، وذالك منه ليس تحريما مطلقا، وإنما هو من باب الحفاظ على أخلاق أهل البيت من الكلام الساقط سيما وكانت تذاع يومذاك أغنيات سافلة و أفتى فيه بأن المذياع كمطلق إنسان بجانبك إن قال خيرا فأنصت له،وإن قال شرا فأعرض عنه وابتعد، والراديو كذالك فإن أذاع خيرا فأستمع،وإن أذاع سفالة أو هجرا فأسكته، ويوم نشبت حرب فلسطين كان هو الراغب في اقتناء المذياع، ودأب على تسقط الأخبار من إذاعة لأخرى، ولسانه لايفتر عن الدعاء لنصرة الإسلام والمسلمين بتلكم الديار .

أما باقي المؤلفات وهي في مجموعها تنيف عن الثمانين، فلم يعثر عليها بخزانة الشيخ المرحوم، وذلك أن لم يكن يحتكر علمه ولاكتاباته عن أي طالب، سيما و قد كان أحدهم يتولى نسخ مؤلفات الشيخ، فلا يُدرى أن يكون قد احتفظ ببعضها. والله أعلم.

# ابنـــاء الشيـــخ

للشيخ من الأبناء تسعة ذكور وخمس بنات، وسأتناول تراجم الذكور منهم

قدر المستطاع ،وحسب ترتيب تواريخ ميلادهم،

## - المرحوم العلامة الشاعر سيدي أحمد المتوفى سنة1351 هـ 1932 م

كان الولد البكر للشيخ وقد أزداد خلال إقامة الشيخ بالقبائل الزايانية، وتتلمذ على يد والده، فكان الولد سرأبيه ،إذ نبغ في ثقافته الى أن أصبح في مصاف العلماء والأدباء رغم حداثة سنه، فقدكان يقرض الشعر و يساجل الشعراء، كما كان يقيم مجالس علم وحلقات درس بمختلف مساجد الدار البيضاء، الأمر الذي ألّب عليه بعضا ممن أكلت صدورهم الغيرة والحسد، فشكوا الى قاضي المدينة الأوحد يومذاك وهو الفقيه السيد علال الشرايبي، يستعْدونه على الفقيه الشاب، قائلين في حقه إن المساجد أصبح يلعب فيها الصبيان، فأسعفهم القاضي بحضوره هو وبعض أعوانه وعُدوله إلى مجلس ابن الشيخ بالمسجد اليوسفي، وقد تصدر القاضي جلساء المجلس على مرأى من المدرس الشاب، فما فتٌ ذالك في عضده، بل استرسل في إملاء درسه وكان من رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وذبّجه بأقوال المذاهب في المسألة، وما جاء من أحاديث نبوية في شأنها،وكل ذالك في جرءة ومن غير خجل أو وجل او تلعتم لسان، وبعد الفراغ من الدرس وأداء صلاة العشاء هرع الواشون الى القاضي يستطلعونه رأيه، فما كان منه إلا ان قال اذ هبوا واشتروا »اللبد« وتعالوا أحضروا مجلس هذا الصبي، فسُقط في أيديهم وارتدوا خاسئين. وفي اليوم التالي اقترح الشيخ الوالد على الولد أحمد زيارة السيد القاضي وشكره على تشريفه للمجلس وأخذ رأيه فيه، وذالك من غير معرفة من الشيخ ولامن الولد أحمد بسبب الحضور وبالمكيدة المدبرة، فمثل الولد بين يدي القاضي وأنشده قصيدة عصماء في مديحه، فرحّب القاضي وأثنى، وأخبرالزائر بسبب حضوره المجلس، وقد طمأن القاضي الشيخ الصغير وأذن له بالتدريس في أي مسجد يشاء من مسا جد الدار البيضاء.(11)

(11) وقال فيه العلامة العبدي الكانوني وهو نفسه من تلاميذ الشيخ: كان من أذكياء الأبناء وأنجبهم، ظهر بمظهر عظيم من الذكاء، تخرّج على يد والده فقط، ودرّس المختصر والشمائل و العربية، وله تآ ليف منها : اتحاف الأبرارفي أن القبض سنة النبي المختارومنها «نظم الشمائلً « وديوان شعر، ومساجلات شعرية.

وقد كان الولد سند والده « والإ بن سرّأبيه» فكان له عونا في التدريس للطلبة بمدرسة الشيخ كما كان هو الآخر سيفا مسلولا على أهل البدع والضلالات، ناظر بعضهم، وكتب في الرد على ترهاتهم ،ونظم شعرا في هجو وتسفيه مزاعمهم، وللمثـال لا الحصر كان الفقيه شعيب بن قاسم الهراوي يقول بسدل اليدين في الصلاة على خلاف الشيخ الذي يقول بسنة القبض، وكان رده تشنيعا بالوالد، فكتب له الولد رسالة بليغة جمعت بين أد لة العلم وبلاغة اللفظ، ثم اتبع ذالك بتأليفه الكتاب المتقدم ذكره، وحصل كذالك وكما ذكرنا سابقا أن مبتدعة الدارالبيضاء أوفدوا الى فاس من أتاهم بعالم يذود عن الأولياء والصالحين في مواجهة الشيخ، فكان القادم -هذه المرة- شيخا من شيوخ القرويين ممن أخذ عنهم الشيخ الوالد وهوالعلامة سيدي محمد بلحاج السلمي وكان رجلا صوفيا.

فعقد مجالس في الدب عن الأولياء، ولما وصل خبره الى الشيخ، وبينما العلامة ضيفا على أحد وجهاء الدار البيضاء.إذا بالشيخ يصطحب معه الولد إلى دار الوجيه ويستأذن، وذالك منه ليس تطفّلا ولكن ابتغاء مرضاة شيخه، ومقابلة رأي برأي، فحيّا شيخنا شيخه بكل إحترام وأدب،وعرض عليه رأيه في أولياء الرحمن من أولياء الشيطان، وأنه ينكرعلى أدعياء الولاية وهي منهم براء، فتبينت الحقيقة لشيخ الشيخ وأنصف رحمهما الله معا.وأما ولد شيخنا فقد وقعت بينه وبين ولد شيخ فاس مساجلات شعرية ومن تقطيعها تبين سلامة أبيات ولد شيخنا دون أبيات ولد شيخ فاس، وكانت للولد أحمد علاقة مثينة ورابطة قوية بالأديب الشاعرالحاج إدريس بن المفضل الأغماري والحاج المفضل كان أحد العلماء، كما كان و لده المذكور مدرسا للعربية بالمدارس العمومية، ثم ألتحق بسلك العدول، وآخر مطاف حياته الوظيفية قضاه في سلك القضاء وتقلب في مناصبه كان آخرها مستشارا بمحاكم الإستئناف، وكم له من مساجلات ومراسلات شعرية مع سيدي أحمد هذا،لاأطيل بذكرها.

وقدكان الولد هذا أحمد ضعيف البنية، وسرعان ما أصابه الداء وهو لم يعمر بعد ربيعه الثالث، وليلة الثلاثاء ثالث جمادى الثانية عام 1351 هـ موافق لـ 03 أكتوبر

1932 م وافاه الأجل المحتوم، وشيعت جنازته في محفل رهيب الى حيث مرقده الأخير بالمقبرة القديمة بالدار البيضاء، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

## -المرحوم الفقيه العلامة سيدي الحسن 1337-1398 هـ

ولد بفاس يوم تا سع ذي الحجة سنة 1337 هـ موافق 4 شتنبر 1919 ، حفظ كتاب الله وهوابن 14 سنة على يد المقرىء البركة السيد الماحي الحريزي بالدار البيضاء، فتتلمذ على يد أخيه أحمد رحمه الله وعلى والده ومنه تلقى ثقافته التي أهلته ليحتل مصاف العلماء ، فكان العلامةَ الأديب والتقي الورع ممن يصدق فيه بحق القول شاب لا صبوة له .فتصدر للتدريس إلى طلبة مدرسة الوالد على مختلف مستوياتهم، فختم الأجرامية مرارا، وابن عاشر مرة واحدة، وألفية ابن مالك ثلاث مرات، والرسالة لأبي زيد مرتين، ودرس لطلبته مختصر الشيخ خليل، والتحفة لابن عاصم ولامية الأفعال والجمل والمنطق، ودرس الأربعين النووية والبخاري والفرائض والمعلقات السبع ومقصورة ابن دريد، والأ صول والتفسيروالتاريخ، وقد انجب تلاميذ كثيرين، كما ألف كتبا هي الأخرى لا تزال مخطوطة ولم يكتب لهاالنشر، ومنها بحث جليل مع صا حب دائرة المعارف الشيخ وجدي، وكتاب تحفة الرسائل في أنواع من المسائل، وديوان شعر، ومؤلف معنون بنزهة المجالس، ومؤلف خلاصة العذب الزلال(في مباحث) رؤية الهلال وقصة أسماها «فتاة يفخر بها الزمان»، وترجمة مطولة لوالدنا الشيخ أسماها: »جواهر الحسان وقلائد العقيان في ترجمة شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن ومن آدب الرحلات رحلته الحجازية .

وبظهورالمدارس العصرية انتصارا للعربية، ومناهضة لرغبة سلطات الحماية الفرنسية في فرنسة المغرب وطمس هويته، اسس الشيخ مدرسة على تلكم الشاكلة وتحمل إسم «مدرسة السنة»، فتقلد إدارتها ابنه الحسن هذا، ورغمه لم ينشغل عن القيام بدروس الوعظ والإرشاد في المسجد المحمدي والى جانبه القيام بخطبة الجمعة بالمسجد اليوسفي، وقد اجتمع عليه مناصرون كثيرون واصل معهم رسالة والده في نصرة السنة ومناهضة البدع الضالة،ولايزال بعض حضّار مجالسه يحتفظون بتسجيلات سمعية

لدروسه، ويجتمعون حلقات لسماعها من جديد .ويقال عنه بحق أن كان طيب المعشر، هادىء الطبع سليم الطوية، متد ينا منذ نعومة أظفاره ولا غرو في ان يقال عنه أنه كان شابا لا صبوة له ،وقد حج مرتين، رزق ابنة و ولدا أسماه عبد العزيز تلقى هذا الأخيردروسه الإبتدائية بمدرسة الوالد، ولما أنهى دروسه الثانوية ألتحق بسلك التعليم الى أن حصل على التقاعد النسبي ليتولى إدارة مدرسة السنة بعد وفاة والده رحمه الله، والأستاذ هذا له قلم سيال، وجولات في عالم الشعر الحديث وهو بالجملة أنعم به من ابن لذالكم الوالد العليم، وأكرم به من حفيد لذالكم الطود العظيم، وبعد هذه الحياة الزاخرة بالمكرمات في وقف حياته للتعليم والدعوة الى السلفية، لبى نداء ربه سنة 1398 هـ1978- م عن سن 58 سنة

**- عبد ربه محمد كاتب هذه الترجمة:**

ازداد بالدارالبيضاء بتاريخ 27 ذي القعدة 1350 هـ- 03 أبريل 1932م بالمدينة القديمة تلقى دروسه الأولية على يد والده الشيخ وأخيه الأكبر سيدي الحسن، حصل على الشهادة الإبتدائية سنة 1947، وبعد سنتين من الدراسة التحق بمؤسسة والده مدرسة السنة ليعمل معلما بها، ومكث بها الى سنة 1957 بعيد الإستقلال ثم التحق بالتعليم العمومي الرسمي، وقد تقلب في أسلاكه من معلم إبتدائي الى مدير مدرسة الى أستاذ السلك الأول ثم أستاذ بالسلك الثاني ثانوي، وذالك بمعاهد ثانوية، وبمدرسة المعلمين وأخيرا مدرسة المعلمات، وقد احرز خلال مشواره بالتعليم على الكفاءة في التعليم الإبتدائي، ثم شهادة الكفاءة في التعليم الثانوي بصفته أ ستاذا للسلك الثاني الثانوي.

ورغم مهام الشغل فلم ينشغل عن المزيد من التكوين المستمر فتابع الدراسة بعصامية وجهد جهيد الى ان نال « الباكالوريا» ومنها الى متابعة الدراسة الجامعية، فأ نتسب الى كلية الآداب بفاس ومنها حصل على الإجازة في الأدب العربي، وجذبته بعدها الدراسة القانونية فانتسب الى كلية الحقوق بالرباط ومنها حصل على الإجازة في القانون الخاص، وشهادة الأ هلية لمزاولة المحاماة، ولم يكن هذا منه إلا جنون المعرفة ليس

إلا،ولم تكن له أي رغبة في مغادرة التعليم التزاما لرغبة الشيخ الوالد. غير أنه وبعد سنوات من حصوله على إجازة القانون تغيرت أحوال التعليم وتردّى بتردّي أغلب المعلمين به ثقافيا وأخلاقيا، وقس عليه حتى الطلبة وصغار التلاميذ، فما كان من المعلم إلا أن غادره على مضض وخلافا لرغبة الوالد المرحوم ليلتحق بسلك المحاماة سنة 1979 حيث لايزال محاميا ممارسا بالدار البيضاء. وقد رزق بمولودين أسامة وهو حاصل على الإجازة في الحقوق ،وعطيات وهي حاصلة على الإجازة في الإقتصاد.

اما ما ينوب الإنتاج فقد ضاع العمر سبهللا ولئن قيل :

إن الفتى من يقول ها أنذا ***** ليس الفتى من يقول كان أبي

فعبد ربه ماذا يقول عن نفسه إ لا أنه لايملك إلاا لقول : هذا الرجل المعلمة كان أبـي.

## - الأستاذ عبد الرحيم:

ولد بالدار البيضاء سنة 1356 هـ- 1938م تلقى درا سته عن معلمي مدرسة السنة، وتابع دراسته الثانوية بالمعهد المصري ثم مدارس محمد الخامس بالرباط فالقاهرة، وتابع دراسته الجامعية بالرباط الى أن حصل على الإجازة في العلوم السياسية ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون العام فرع العلوم السياسية. عمل بسلك التعليم الثانوي لفترة قصيرة، ثم التحق بمدرسة تكوين أطر وزارة الداخلية بالقنيطرة في أول فوج لها، وتخرج منها متفوقا من بين الأربعة الأوائل، وتقلد عدة مناصب بسلك رجال السلطة بوزارة الداخلية بصفته قائدا ثم باشا ثم قائدا ممتازا، وكان آخر مطافه أن حصل على التقاعد النسبي والتحق بالمحاماة وله من الأولاد أربعة ذكور تخرجوا من معاهد بأمريكا، وله بنت متخرجة في التسيير الإداري.

## - المرحوم عبد الغني 1941_1968م

ولد سنة 1941م بالمد ينة القد يمة بالدار البيضاء .تلقى دروسه الإبتدائية بمدرسة

السنة وأتم دراسته الثانوية بالمعهد المصري ومدارس محمد الخامس بالرباط، وبها تابع دراسته الجامعية بصفته طالبا منتسبا الى أن حصل على الإجازة في العلوم القانونية بامتياز .اشتغل خلال دراسته الجامعية أستاذا بثانوية عبد الكريم لحلو، ثم غادر التعليم الى مهنة المحاماة، وكانت المهنة يومذاك في اوائل عهدها بتخريج أول افواج المحامين والدفاع بالعربية بدل الفرنسية التي كانت لغة القضاء والدفاع يومذاك، فأعطى صورة مشرفة للمحامي باللغة العربية ،لكن المنية عاجلته وهو في طريقه الى مراكش إثرحادثة سير، وذالك بتاريخ 1968 وقد أنجب ولدين لم يشذّا عن نبوغ والدهما وجد هما، فالإبن سعد دكتور مختص في الطب من فرنسا، والإبن هشام خريج من أمريكا في الإعلاميات والتسيير الإداري

## - الأستاذ النقيب عبدالواحـد:

كان مولده بالمدينة الجديدة بالدارالبيضاء بتاريخ 1943 .تلقى دراسته الإبتدائية بمدرسة السنة، ودراسته الثانونية بمعهد الأزهر، وقد ألتحق بكلية الحقوق ونال منها الإجازة في القانون الخاص اشتغل كغيره من إخوته في التعليم على سنن والده بثانوية المعهد البلدي للبنات وغادره بعد وفاة الوالد للعمل بالمحاماة، وكانت بدايته بالدار البيضاء، ثم انتقل منها الى سطات حيث انتخب لفترة نقيب هيئة المحامين ،وله في المهنة مؤلف نفيس بعنوان «قواعد المحاماة»وهو مطبوع ومنشور ،وقد أنجب الولد وائل وهودكتورفي الصيدلة،والبنت ملاك وهي دكتورة في الطب أصلحهما الله.

## - الأستاذ المحامي عبد اللــه

كان من مواليد عام 1946 بالمدينة الجديدة من الدارالبيضاء.تابع دروسه الأولية وبعض الأقسام الثانوية بالدارالبيضاء، كما تابع دروس الكفاءة في الحقوق ونال شهادتها، وعمل في سلك كتاب الضبط بإ بتدائية أكادير ،ولعصاميته تابع الدراسة بكلية الحقوق بصفته طالبا منتسبا الى أن حاز الإجازة في الحقوق.عين في سلك القضاة، فتقلب في منصبه ذاك قاضيا بالبروج وبالجديدة وقاضي التحقيق بسطات ثم قاضيا بسوق أربعاء الغرب وكانت آخر المطاف،ثم استقال من سلك القضاة ليلتحق بمهنة المحاماة كباقي

أشقائه وهو يمارس حتى الآن.

### - الأستاذ المحا مي مصطفـى:

وهو أصغر الأولاد الذكور للشيخ،ولد بالدارالبيضاء سنة 1950 تلقى دراسته الأولية والثانوية والجامعية بالدار البيضاء،ونال الإجازة في الحقوق.اشتغل منذ 1978 بمهنة المحاماة بالدارالبيضاء ولايزال يمارس

### - المرحوم الطالب أحمد:

ولد بالدارالبيضاء بتاريخ 1933حافظا للقرآن الكريم، ولم يتيسر له أن يغرف من معين علوم والده، وذالك لما كان عليه من مس خفيف، وكل ما كان منه في آخر حياته هوادمانه على السياحة، فما خلّف ولا تزوج

### - لطيفة من اللطائف وحسن الصدف

لعل القارىء وهو يتابع ترجمة أولاد الشيخ يلاحظ أنهم احترفوا التعليم في أول مشوارهم ،ثم انتقلوا الى مهنة المحاماة، ولي في ذالك خاطرة أطلع عليها القارىء عله يوافقني الرأي.فكما ذكرت عن الوالد الشيخ كان لايرضى لنفسه إلا التعليم والوعظ والإرشاد، وفي سبيل اختياره ذاك رفض عرض القضاء عليه من الشيخ أبي شعيب الدكالي يوم كان وزيرا للعدل، وقد خاطبه الوزير في شأن خطة العدالة محتجا عليه بقوله تعالى: «ولا يضار كاتب ولاشهيد «، فرد عليه الوالد الشيخ ولا هي ! فما خلقت إلا معلما ولا محيد لي عنه.وكذالك كان مع أو لاده فلم يكن يوافق أيا منهم على اختيار أي حرفة غير التعليم، وقد حدث مرة في أوائل عهد المغرب بالإستقلال ان تقدم الأخ الأكبر الحسن سرا بطلب التعيين بخطة القضاء، فبلغ سر الطلب الى الوالد، فما كان منه إلا أن نادى الحسن وقال له بيتي لا يأوي القضاة، فاخترين المكث فيه معلما ومفارقته قاضيا، فماكان من الأخ إلا أن أنصاع لإرادة الوالد وإرضائه .وكذالك كان باقي الأبناء، فلم يجرؤ أحد منهم أن يحترف غير التعليم قيد حياة الوالد، وبعد وفاته اختار بعضهم حرفا بعيدة عن التعليم ولكنهم جميعهم عادوا الى حرفة لا تبعد

عن حرفة الفقهاء، فلئن كان الفقه الإسلامي فقه الشرع، ففقه القانون فقه الوضع، ويجمع بينهما الكثير من العناصر فمن فقه الشرع الى فقه القانون، والفقه حرفة عميد الأسرة وشيخها وقدوتها، والإختيار هذا كان من جميع الإخوة ليس اختيار صدفة ولكنه إختيار له جذوره في التحليل النفسي لدى علماء النفس، والتأثيرهذا أشبه ما يكون بالوراثي ويقولون : »ومن يشابه أباه فما ظلم» «والنجل بعض من نَجَلَهُ»، فلاغرو في أن يعود الحمل الشارد إلى القطيع، وأن يحترف الأبناء حرفة الأب. لكن مع فارق ان الشيخ الأب كان على خلاف مع القانون الوضعي وله فيه مواخذات سجلها في بعض مؤلفاته. سامحنا الله من هذه المخالفة اللتي تقض مضاجعنا كلما ذكرناها.

## - سيرة الشيخ في أهل بيتـه :

سيرة العلماء في بيوتهم كثر ما يتستر عنها المرء بحجة انها خصوصيات لا يحق الإطلاع عليها، لكن فما دام العلماء هم ملك للمجتمع جميعه، سيما وهم الواعظون المرشدون للمجتمع، وما دام أن فائدة العلم العمل به فإنه يجب أن يكون المرشد أمثولة حتى يحصل المسترشدون به على تطبيق عملي من مرشدهم التزاما منه بما يأمر به من معروف وبما ينهى به عن منكر، وبالتالي حتى يكون مثالا حقا يحتذى به»،قول وفعل هو الإسلام الرفيع «>وكم من العلماء لاصلة لحياتهم العامة بحياتهم الخاصة ،وإنما هم يتعيشون بعلمهم وكفى. ومن هذا المنطلق أعرض شذرات من حياة الشيخ في بيته، وسلوكه مع جميع أفراد أسرته رائدي في ذالك تبيان الحقيقة -والله يشهد -من غير مبالغات ولاتزيدات أوتحويرات، وذالك حتى يستنتج القارىء الرأي الأصوب- سلبا أوإيجابا-في إلتزام الشيخ بماكان يبشر به ويعظ ويرشد. وأقتصر في شأنه على بعض الإرتسامات والخواطر للمثال.

## - خا طـرة أولـى :

يلا حظها القارىء في أن أسماء الأولاد من ذكور وإناث لم تتجاوز القولة المأثورة «خير الأسماء ماعبد وحمد»، فأسماء الذكور كلهم عبابدة وحمامدة كماسبق ذكرهم، اما أسماء الإناث فلم تتجاوز أسماء بنات الرسول(ص )فاطمة وزينب والزهراء واسم

والدته آمنة واسم مرضعته حليمة السعدية، وهو من الشيخ الوالد الحب في الله وفي رسوله، وحب الرسول عنده ليس في الأ مداح المغالية غير الشرعية، ولكن في إتباع سنن الرسول، وفي شرف التسمي بما عبد وحمد، أوبما اتخذه الرسول من أسماء تيمنا وتبركا بالتسمي بها .

### - خاطرة ثانية

انه من شدة إلتزام الشيخ بالأخلاقيات الإسلامية ومناهضته للتقاليد المغربية المتنافية مع الدين والأخلاق، فقد أقام دارسكناه على مساحة أكبر، وأقام الى جانبها دويريتين كل منهما ذات طابقين، وفتح من كل طابقين بابين يؤديان الى الدارالكبرى، وكلما خوطب الشيخ في زواج إحدى بناته فلم يقبلها إلامن طلبته لاغير، واشترط على الزوج السكنى بطابق من الدويريتين، وذالك منه حفاظا على أخلاقيات بناته من السكن مع الجيران مما قد يفسد أخلاقهن ودينهن، فكنَّ هنّ وأولادهن على صلة بامهاتهن وإخوتهن ووالدهن وقد يكملن حاجاتهن مما هو موجود بالبيت الكبير لاغرو عليهن في ذالك. وكان أحد الأصهار يملك» فيلا « تركها مغلقة ولم يرحل إليها إلابعد وفاة الشيخ .

### - خاطرة ثالثة

أن كان بيته محكمة، فلم يترك أهل البيت سدى يظلم هذا ذاك ،أو لا يسأل الكبير عما فعله بالصغير كما هو حال تقاليد البيوتات المغربية، فقد يشكو الصغير الكبير الى الوالد فيقيمها الشيخ محاكمة يحضرها المدعي والمدعى عليه، ويطالب بحضور الشهود فقد تكون إحدى النسوة أو البنات أو أحد الأولاد، او بعض المساعدات في أ شغال البيت، والحكم إما أن يكون استسماح المدان للضحية، أوصلحا بين الطرفين، أوتوبيخا وتأنيبا للمدان، وللطرفة أقول أنه مرة في محاكمة كهذه وقد حضرها أحد خاصته وكان رجلا فكها، فانبريت للشهادة وأنا يومذاك في سن مبكرة، فعارض الحاضر بأن شهادتي لاتجوز، فاستفسره الوالد عن السبب القادح في الشهادة، فقال لأن الشاهد ساقطة أسنانه، وكنت يومذاك في سن تساقط الأسنان فضحك الجميع ،أما أنا فما كان

مني إلا أن اجهشت بالبكاء المرّ لسقوط شهادتي.

- خاطرة رابعـــة

أن كان الكل من أهل البيت لا يسمح ان يُسمع بينهم سباب قط حتى ولو على سبيل المزاح، وحدث لكاتبه وهو في طور حفظ القرآن الكريم على يد أحد القراء ان نهرني مغضبا ان «إقرأ لـمّاك « فوجدتها سبة وإهانة منه فجئت الوالد الشيخ وأنا ابكي بكاء مرا أن «الطالب» سب أمي بالقول «إقـرأ لمّاك «فضحك الوالد وأجاب بأنني أقرأ لأمي وأبي ليس غير، وشكوته مرة أخرى بأنه سبني بالقول» أقرأ اصباح لله» فضحك الوالد أيضا وأجاب بأن الصباح هو فعلا من صنع الله وملك له وليس من صنع أي أحد ولا من ملكه.

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على التركيز والدقة من الشيخ في مدلول الكلام وليس في إلقائه على عواهنه.

- خاطرة خا مسـة

حصل يوما أن فاخرت والدتي -هزلاً- بالقول إن بلدي هنتيفة أرض اللوز والجوز والزياتين والليامين ،أما أرض أولاد سيدي بنداود- وهي مسقط رأس الوالدة-فلا تنبت الا »الد وم « ،وقد تناثر هذا الى سمع الوالد دون أن أدري، فخرجت لتوه الى قضاء بعض حاجيات البيت، وبعودتي استدعاني الوالد الى الجلوس الى جانبه ودعا الأخ الحسن الى سرد الكراسة اللتي بين يديه مماكان قد تلقاه في غيبتي من الوالد في فوائد الدوم ، وقد تعرض فيه الى فوائده النباتية والطبية والصناعية، وأنا أصغي في خجل من نفسي ما عليه من مزيد، وفي النهاية أن كل ما قاله الوالد لي أن هذه هي فوائد الدوم الذي اعتبرته نقيصة في حق بلد والدتك، فأجبرخاطرها بالإعتذار ولا تعد لمثله .

- خاطرة سادســة:

أن قد عمل الشيخ على تعليم زوجاته الثلاث تعليما شفويا، وكنّ يحفظن سورا

عديدة من القرآن الكريم والأحادث النبوية، وقصائد من شعر الحكمة ودعوات من السنة النبوية، وكلهن على معتقد الشيخ غير متأثرات بالعقائد الفاسدة والعادات الممجوجة التي لا يخلو منها بيت.

كما عمل على تعليم بناته في صغرهن تعليما أوليا، فكنّ يقرأن ويكتبن، ويحفظن أجزاءا من القرآن الكريم والأحاديث والقصائد والأدعية، حتى إن احداهن وقد كانت على مستوى من التعليم قد ساعدت زوجها في اعداده لخوض اختبارات الولوج لسلك التعليم.

وهذه شذرات من سلوكات الشيخ في أهل بيته وأسلوب تربيته الصالحة، وإن دل على شيء فإنما يد ل على الإلتزام والتشبت بالأخلاقيات، من حيث أن فائدة الأمر بالمعروف العمل به.

## جملة من المعروفين لدى كاتبه من تلامذة الشيخ

للشيخ في اطوار مقامه بكل من زايان و فاس وأبي الجعد والدار البيضاء بصمات جلى من مذهبه السني ومن تلامذة كانوا له خير خلف في مدنهم، وقد عرف عنهم مناصرةالسنة النبوية والسلفية الصالحة، وكان من حرص الشيخ على ترسيخ السنية ونبذ الإعتقاد في أدعياء الولاية والصلاح أن غير أسماء بعض تلاميذه ممن يسمون بأسماء دفناء الأضرحة، وللمثال فأحدهم كان اسمه رحال فأسماه أحمد، وآخركان اسمه العايدي فأسماه» أبوبكر«، وثالث كان اسمه التهامي فأسماه عبد الرحمن، ومن غير الممكن حصر عد د الطلبة الذ ين تتلمذوا على الشيخ طيلة حياته العامرة بالتدريس ونشر العلم، وذالك للجهل بهم وعدم وجود أي مستند اعتمد عليه في إحصائهم، ولكن كما يقال: «ما لا يمكن كله لا يترك جله أو بعضه»، ولذالك اقتصر على من بلغني انتسابه لمدرسة الشيخ أوعايشته أنا نفسي إبان تلمذته، أوتعرّفت عليه في زيارته لشيخه، بالإضافة الى القصور البين في تراجمهم الموجزة دون تفصيل، والمعروف منهم هم الآتـون :

## - الفقيه الحاج عباس التادلي رحمه الله

تتلمذ على يد الشيخ بخنيفرة و لازمه، وقد صاحبه الى الديار المقدسة،وكان يسرد على الشيخ على متن الباخرة منا سك الحج حيث تطوع كعادته بتعليم الركاب الحجاج مناسكهم، والطالب هذا كان كل أمله أن يقبر في مكة المكرمة، فأستجاب الله دعاءه ودفن بالأ بطح .

## - الفقيه العلامة السيد الحاج عبد الرحمن بلحاج النعماني :

وكان من أنجب تلاميذ الشيخ بخنيفرة، وتأثر كثيرا بسنية شيخه ومنافحته المبتدعة، وقد عقد له مجالس وعظ وإرشاد في مساجد خنيفرة، وكان شعلة في وطنيته، ومن أقطاب الحزب في تلكم الأصقاع التي حكمها الفرنسيون حكما عسكريا وطبقوا فيها الظهير البربري للحكم بالأعراف بدل أحكام الإسلام، وكان مما تعرض له من مضايقات أن وشى به باشا المدينة وقائد أحوازها الى رئيس الدائرة الفرنسي، وبمجلس جلسة الأحكام العرفية واجه رئيسها الفرنسي الفقيه بأنه ينشر الوطنية، فأجاب بأن كل مابينه وبين الباشا والقائد أنهما تجانيان يقولان بان صلاة الفاتحي تعدل خمسين ختمة من القرآن الكريم فكذبت في مجلسي هذه القولة، وهذه فتوى دينية ،فاستنكر الفرنسي نفسُه القولة تلك، وقال لا يمكن ان يكون كلام بشر كالقرآن، وأ مربإطلاق سراح الفقيه الى حين استفتائه المجلس الشرعي الاعلى بالرباط.

## - العلامة القاضي الشاعر المبدع السيد أحمد بن قاسم المنصوري :

وكان من أنبغ تلامذة الشيخ، وأصله من مكناس، وكان ذا إطلاع واسع بمختلف فنون المعرفة، مما تكونت معه لديه ملكة شعرية خصبة، مارس خطة العدالة، وتولى القضاء في أهم المراكز، وكان من أبرز القضاة وعين في غير ما إقليم آخرها مراكش،

وكانت له مشاركات متميزة في كل عيد من أعياد العرش، إذ تجود قريحته بقصائد عصماء تجد لها صدى بين أدباء و شعراء تلك الفترة، وقد ألف في تاريخ المغرب بخصوص البلاد الزايانية، وأ نشأ دواوين شعرية، وساعد بعض الدكاترة المؤرخين اللامعين-الآن- على جمع معلومات نفيسة عن تلكم الاصقاع، وكانت موضوع اطروحات متميزة. وقد استمر على محبة شيخه وزيارته الفينة بعد الاخرى يلتمس أدعيته الصالحة، ويؤدي فروض الإعتراف بمشيخته له، وفضله عليه، ومجاذ بته في العديد من المسائل العارضة رحمهما الله تعالى. وقد أبدى وأعاد في ذكر الشيخ وعلمه وجهاده في مؤلفه: »كباء العنبرمن عظماء زايان وأطلس البربر».

## - الفقيه الحاج علال التادلي :

من خيرةطلبة خنيفرة هو كذالك ،وكان من أجلِّ الفقهاء وأتقى أولياء الله الصالحين، عاش عمره كله نزيها عفيفا قانعا، ووقف حياته على تعليم الصبية والإمامة الى أن توفي-رحمه الله- و هو على ذالك، يموت المرء على ما عاش عليه، وقد قدمت سلفا ان أنابه شيخه لخلافته في تلاميذه وأهل بيته خلال غيابه لحج بيت الله الحرام، فأحسن الخلافة، وقد أ دركته فوجدته على خلق الملائكة حتى لكأنه ملاك يمشي بين الناس أسبغ الله عليه شآبيب رحمته.

وقس عليهم الفقيه السيد محمد بناصر الزاياني والفقيه محمد السمعلي والفقيه محمد بن علي والحاج صالح الرواضي وكلهم طلبة مدرسة خنيفرة .

## - الفقيه السيد الجيلاني شقيق الشيخ

أخذ من العلم على يد شقيقه حظا وافرا، وعند رحيل الشيخ الى الدار البيضاء بقي الجيلاني هذا صحبة شقيقه محمد بمريرت ثم خنيفرة يتعاطيان التجارة وتأتي البقية عنه بعد.

## - الفقيه الأديب القاضي السيد محمد شقيق الشيخ

ولد سنة 1323 هـ- 1905م، غرف من مختلف العلوم والفنون على يد شقيقه الشيخ بخنيفرة ثم بفاس وبها تتلمذ على بعض مشاييخ القرويين، فتميز بقلم سيال وقريحة شعرية فياضة، فنظم الشعر في غير ما موضوع وغرض،وساجل الشعراء، وراسل جرائد وطنية، ومن سمو شاعريته أن نظم كتاب «الأزهار الطيبة النشر في مبادىء العلوم العشر».وله جولات محمودة في الكثير من أغراض الشعرناتي على شذرات منها

.قال في الشكوى من تردي احوال القضاء :

قاض قضيت بهاشهورا عدةً *** لاالخصم يفهمني ولا أترابها

أقلقت من فجر وحمي تشاجر*** وسئمت من دنس عليه رحابها

وكأني هود ولست بمرسل*** وكأنهم عادتباطى عذابها

وقال في رثاء شقيقه الشيخ :

مصاب ليس بعده مصاب*** لذي الألباب إذ فقد الشهاب

ليبك كل ذي علم عليه ***فكم علم له ضم التراب

سقى الله الكريم تراه صوبا***له من كل رضوان رضاب

ومن الطرف الشعرية ان قال في كاتب ضبط يحضر جلساته:

لم ياسعيد ألا تراك سعيد *** تشكو الشقاء وتكثر التنديد

هلا جعلت الإسم منك حقيقة ***ونأيت عن معنى الشقاء بعيد

فلتعش في أفق السعادة بلبلا***غريدا بك يعشق التغريد

باشر هو وشقيقه الجيلاني -بعد رحيل شقيقهما الشيخ عن فاس-التجارة في مريرت ثم في خنيفرة، وقد نجح مشروعهما التجاري لكنهما كانا مراقبين من طرف السلطات المستعمرة ومكروهين من اعوانها المغاربة، إذ كانت المنطقة عسكرية تسودها الأ حكام العرفية.

أما الشقيقان فكانا على أشد ما تكون عليه الوطنية وقد شاركا في تأسيس الحزب الوطني وفي إجتماعات أقطابه بفاس ومكناس، وكان السيد محمد يراسل جرائد وطنية بمدينة الدار البيضاء بمقالات وطنية يوقعها باسم «بوحياتي» وهو جبل يطل على خنيفرة، وقد افتضح أمرهما، فوجدها الباشا والقائد فرصة للوشاية بهما لدى السلطات الفرنسية بتهمة الوطنية، فاعتقلا وسجنا معاً في د هليز تحت الأرض بقرية «الحمام» وسميت بالحمام تنكيتا على شدة زمهريرها، فما كان من الوالد وقد وافاه الخبر الأليم إلا أن أ ستنجد بمن توسط له لدى السلطان، وهو من تدخل لهما لدى الإقامة العامة، فأفرج عنهما بشرط مغادرة الناحية بمجرد الإفراج عنهما وعدم زيارتهما لها بالمرة، فجاءهما الوالد وقدم بهما الى الدار البيضاء صفر اليدين، وقد ضاع منهما كل ما يملكان من تجارة ومن ديون لدى تجار التقسيط، ومن أنعام لدى شركائهم بالبادية، وغير هذا أفظع إذ ان مدة الحبس في القبو الرطب كان له أثرعلى صحة الأخوين فالجيلاني أصيب من جرائه بداء الصدر(السل)، وعانى منه إلى ان كان السبب في وفاته سنة1362هـ، أما محمد فقد خرج من الحبس ذاك مصابا بالربو (الضيقة)، وبقي يعاني منها في باقي حياته.

## علاقة شيخنا بالشيخ أبي شعيب الدكالي

وقد عانى شقيقا الشيخ ضائقة العيش، فلم يجد العم محمد بُدّا من الإستنجاد بالشيخ أبي شعيب، لما يربطه من أواصر العلم والإحترام بشيخنا، ومن باب تداعي المعاني وتوارد الخواطر «والشيء بالشيء يذكر» فإن ذكر الشيخ شعيب الدكالي يجرّإلى بسط صلة شيخنا بهذا المعلمة الفذة في نصرة السنة في مغربنا، وقدوفد من الشرق العربي بآرائه تلك لما تشبّع به من أعلام السّنة وأقطابها بمصر، وكان متفردا في

دعوته وآرائه في وسط علمي لا تجد بينه إلا عالما مقلدا أوطرقيا مبتدعا، وقد قيض الله اللقاء لهذين القطبين في السنة النبوية والإجتهادات الفقهية، ومحاربة الطرقية لقاءا حميميا جمع بينهما لأول مرة، وكان ذلك لحسن الصدف بفاس وبمحضر علمائها ،ولا يخفى أن مجامع العلماء لا تخلو من مذاكرات، وطرح مسائل فقهية وقتية، فكان الأمر كذالك ودارت مناقشات، وقد أجاد شيخنا وأفاد في سنيته وإجتهاداته ومحاربة الضلالات، مما أثار إعجاب الشيخ شعيب بوجود عالم متمكن ينافح عن السنة، ويناهض الضلالات بين علماء المغرب، وهم يومذاك ليس بينهم إلا مبتدع أومتصوف أومقلد، ولم يخف إعتزازه به، ولما انفرط الجمع أقسم على شيخنا أن يركب بدله البغلة مركبة الشيخ شعيب، وأخذ هو يمشي راجلا الى جانب المركوبة وهو يذاكر شيخنا أثناء المسير، ورجاه أن يزوره وقتما شاء فباب داره كما قال مفتوح في وجهه ليل نهار ولما تقلد الشيخ شعيب منصب وزير العدل، خاطب شيخنا في تعيينه بسلك القضاء فأبى، وخاطبه ثانية في تعيينه عدلا محتجا عليه بقوله تعالى : »ولا يضار كاتب ولاشهيد «فأجابه ولا هذه»، فما خلقت إلا معلما ولن أموت إلاكذالك.

وقد استجازه فيما يحد قه من منقول ومعقول فأجازه بعبارات كلها إجلال وتقدير وشهادة بعالمية شيخنا، ويرحم الله الشيخ شعيب وهو على فراش المرض، إذ جاءه أحد عُوّاده، وقد تأثّر الزائر من وطأة المرض على الشيخ، فقال: أطال الله عمرك لأهل السنة فمن يبقى لهم بعدك- لا قدرالله- وأنت الأوحد، فرد الشيخ العليل بأن لا، فقد بقي فيكم الفقيه الحاج عبد الرحمن النتيفي.

ورجع بنا الى شقيق الشيخ، فقد عرض عليه الشيخ شعيب خطة العدالة، لكن العم طلبه التوسط لدى شقيقه الشيخ الذي عُرف عنه أنه يمانع في أي حرفة يحترفها ذووه عدا التعليم،فراسل الشيخ شعيب الوالد محتجا أترضى لأخيك بأن يمد يده للناس؟، فخضع الوالد وقبل على مضض، فمن يومذاك تولّى العمُّ هذا خطة العدالة ،وسرعان ما نصبه القاضي الفقيه سيدي الها شمي بنخضراء-وكان القاضي الأوحد للدار البيضاء -نائبا له، ونظرا لشيخوخة القاضي فقد دأب على فسح المجال للعم

يخاطب على رسوم العدول، ويترأس جلسات الأحكام، وبقي العم على وطنيته وصلته بالحزب، يحضر منتدياته ويحاضر بها في مناسبات يقيمها الحزب، فحاضر عن البلاد الزايانية، وحاضر بعيد مولد النبي بمحاضرة عنوانها «عبقرية يتيم «ونظم قصيدة عصماء في الدار البيضاء كتب لها النشر، وغيره كثير، وكان المندوب الفرنسي المكلف بالمحاكم متضايقا من العم لوطنيته وأنفته إذكان لايتملق الرؤساء الفرنسيين ويتحاشى لقياهم، فكان يقول عن العم بلثغته الفرنسية : » النتيفي إداري إداري لكنه( وتني) ويعني أنه وطني، وقد وجدها فرصة تاريخ نفي محمد الخامس سنة 1953 فعزل العم من النيابة والعدالة ومكث على ذالك الى حين استقلال المغرب، فأعيد إليه إعتباره بتعيينه قاضيا على خريبكة ووادي زم، فبني ملال، فتمنار فسطات وكان آخر المطاف قاضيا بمراكش، وقدأجاز حياته الوظيفية قاضيا نزيها عادلا منصفا لا يفتح باب بيته للعدول إلايوم عيد، ولايغلق باب مكتبه في وجه متقاض، ولا يناصر قويا على ضعيف، أوبتوصية رئيس له على حساب صاحب حق، وله في ذالك وقائع نتحاشى ذكرها تجنبا للتطويل.وقد أحيل على التقاعد من سلك القضاء في متم سنة 1975 وجاء في قرارالإحالة بتوقيع وزيرالعدل الأستاذ عباس القيسي مايلي: . . . لأغتنم هذه الفرصة لأعبر لكم عن مدى تقديري للجهود التي بذلتموها طيلة إنتسابكم للسك القضائي في إطار من التجرد والنزاهة والإخلاص، ولما برهنتم عنه بإستمرار من كفاءة علمية ممتازة وسلوك مثالي مما جعلكم دوما محط تقدير واحترام. . .انتهى

وقد وشح بوسام ملكي تقديرا لخدماته، والرجل بحق لايحيط بترجمة حياته الحافلة إلاسفر كتاب، وبتقاعده اقترحت عليه وزارة العدل العودة الى ممارسة العدالة، فأبى قائلا لم أعد أصلح مع هذا السن إلا للإستعداد للآخرة والتكفير عما سبق، لا أن أستزيد الذنوب والآثام، وبقي على ذالك ملازما داره يزوره بعض خاصة معارفه فيبقون الساعات الطوال على المناقشات والمذاكرات العلمية والسياسية و تجاذب أطراف الحد يث وغابر الذكريات، وذالك الى أن أشتدت عليه وطأة المرض فوافاه الأجل المحتوم رحمه الله برحمته الواسعة

- **الفقيه أبي يعزى الرواضي**

وهو من أخلص تلامذة الشيخ لازمه بخنيفرة، وحصل أن أسره الفرنسيون خلال المقاومة وقد رحل هو الآخر الى الدارالبيضاء واستوطنها، غير أنه أشتغل بالتجارة وأسس مطاحن للحبوب في أحياء من المدينة، ولاحترافه ذاك كان من خفة روح بعض أصدقائه ينادونه كصاحب أحد الاضرحة»مولاي بوعزة بيض التراب» تنكيتا على معتقد العامة ودعوتهم «مولاي بوعزة حمر التراب»،وكان خليلا ملازما لزيارة شيخه شقيق الشيخ، كما كان ملازما لزيارة شيخه الأكبر والجلوس إليه للمؤانسة والمذاكرة، وقد عرف عنه اهتمام كبير بالسياسة، وخدمة الوطنية.

## مدرسة أبي الجعد

فكما أسلفت في تعداد المدن التي أقام بها الشيخ، وما أنجزه فيها في سبيل الدعوة والتعليم، فقد عرفنا أنه يوم أن تأكد من علاقة الشيخ عبد الحي الكتاني بالسلطات الفرنسية رحل عن فاس في سرية تامة خوفا من بطش الكتاني، فاقام بابي جعد حيث الزاوية الشرقاوية، وبجامع المولى سليمان جعل منه قرويين صغرى إذ في كل سارية منه مجلس من مجالس العلم، يجلس لأحداها الشيخ نفسه بينما المجالس الأخرى يقوم عليها شقيقه الفقيه سيدي محمد وبعض نبغاء طلبة الشيخ، وقد اجتمع عليهم طلاب علم كثيرون ومن غير استقصائهم رغم قصر مدة الإقامة كان منهم الآتون :

- **الفقيه السيد عبد الما لك الشرقاوي :**

من سلالة الزاوية الشرقاوية تتلمذ على الشيخ، وتولى خطة العدالة ثم النيابة عن بعض قضاة المدينة، وقد تطوع بأداء دروس و عظ و إرشاد بمساجد ابي الجعد، غير ان ابن عم له وكان قاضيا بأبي الجعد غار منه فمنعه من التدريس بحجة أنه لا يتوفر على أي شهادة علمية، فا ستنجد بالشيخ فاجازه بإشهاد منه على عالميته، فسمحت له سلطات المدينة بمبا شرة التدريس. وكان يزوره الشيخ بأبي الجعد فيكرم وفادته،

ويعتز بزيارته.

- الفقيه السيد محمد السموني.

أخذ أولياته عن الشيخ بأبي الجعد، ثم ألتحق بالقرويين لإتمام دراسته، قام بالتدريس، واسس مدرسة حرة بأبي الجعد وتولى الخطابة بالمسجد الجامع .

- الفقيه الجنيد .

أخذ عن الشيخ و تتلمذ عليه، وقد تولى -بعد-نظارة الأحباس والإ مامة بأبي الجعد، وكان رجل تقوى وصلاح .اسما على مسمى.

## مدرسة الدار البيضاء

فبالدار البيضاء أفرد فيها الشيخ مسجدا واسعا من أرضية داره وقد كانت بالمدينة القد يمة بحي يدعى (فرينة اولاد هيو)، وزوّد المسجد بخزانات خشبية صغرى دفينة في جزء من جدار المسجد تخصّ كل خزانة طالبا من الطلبة الآ فاقيين يحفظ فيها حاجاته ويقفل عليها، أما الطلبة المقيمون فيترددون بين المدرسة وبيوتهم، كما كان المسجد مزودا بسدة علوية يحفظ فيها كل طالب غطاءه و وطاءه، فإذا ماجن الليل بسطوا أفرشتهم على طول المسجد وعرضه وباتوا عليها إلى ما قبيل أذان الفجر، وللمسجد مرفق للنظافة دارالوضوء .

وتقام مجالس الدرس بعضها بذات المسجد ،والبعض الآخر مما يضيق عنه المسجد هذا تقام بجامع الشلوح وهو قريب من دار الشيخ، وبحق فقدكانت حلقات الدروس بالمسجد في مختلف المستويات أشبه بجامعة قروين صغرى، كما وصفها الكاتب المرحوم أحمد زياد في بعض كتاباته الصحفية، فقبيل آذان الفجر يستيقظ الطلبة، ويلفّون أفرشتهم، ثم يتوضؤون استعدادا للصلاة، وينزل الشيخ من داره ليؤم بهم صلاة الصبح و بعد قراءة الحزب جماعة يقام أول درس من الشيخ،وكان يحضره فضلا

عن الطلبة بعض فضلاء أعيان الدار البيضاء ممن أحبوا الشيخ واعتنقوا مذهبه السني ونا صروه في دعوته.

فالدار البيضاء هي التي عرفت أكبر عدد تلامذة الشيخ، وإن حصر عددهم غير ممكن نظرا لكثرتهم ولجهل كاتبه بهم عدا من ذكر، فإليكم المعروف لديه منهم :

- **القاضي العلامة السيد الحاج هاشم المعروفي** من أنجب تلامذة الشيخ تولى العدالة ثم القضاء والإمامة والخطابة ومن مؤلفاته، «تاريخ البيضاء، وبه ذكر للشيخ.

- **القاضي السيد محمد بن سعيد الزاياني**، من الطلبة الأفاقيين قدم من جبال قبائل زايان، وقد نبغ في دراسته. فتولى العدالة بالدار البيضاء ثم القضاء في اقاليم مختلفة.

- **المرحوم الأستاذ محمد بن عبود التطواني**، رحل عن تطوان مغضبا، ونزل بالدار البيضاء لدى أخواله، ويدعون بلوقاش وكانوا رجال صناعة، فأخذه خاله الى الشيخ للدرس والتعلم، فتتلمذ على الشيخ ردحا طويلا، ثم رحل للدراسة بالقاهرة، حيث أُجري له بها اختبار مستوفاُلحق بالأقسام النهائية بكلية الشريعة هناك، وذالك للمستوى الدراسي الذي حصل عليه من تلمذته على الشيخ، وقد كان من أعضاء لجنة تحرير المغرب العربي الى جانب رئيسها بطل الريف بالقاهرة وعضوية الحبيب بورقيبة، وفي رحلة جوية أقلت بعض زعماء العالم العربي لحضور مؤتمر بكراتشي بالباكستان، سقطت الطائرة فكان بنعبود أحد ضحايا الحادثة رحمه الله .

- **العلامة المؤرخ سيدي محمد العبدي الكانوني**، تتلمذ على الشيخ بفاس وصحبه سنة 1338 هـ1920- م في سياحة الى قبائل زايان ثم صحب الشيخ الى مراكش سنة 1341 هـ1923- م، وفي هذا قال العلامة الأديب محمد المختار السوسي في كتابه. « ذ كريات «في كلامه عن الفقيه الكانوني مانصه:

« في سنة 1341 ورد الأستاذ النتيفي <( يعني الشيخ) نزيل البيضاء اليوم الى الحمراء مع ثلة من أصحابه وأحسب أن من بينهم الأ خ الكانوني هذا فيكون اتصالي

به من تلك السنة، وقد ساجلت أخا للاستاذ( هو محمد شقيق الشيخ) قوافي لفتت الأستاذ ومن معه إلي».

وفي هذا الباب أيضا قال الدكتور محمد بنشريفة في الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي بتاريخ يونيو 1988 وبخصوص الفقيه الكانوني قال عنه :ومن أبرز شيوخه أبو زيد عبد الرحمن النتيفي وقد أطال الفقيه الكانوني في ترجمته، وكان معجبا غاية الإ عجاب به، مما جاء في ترجمته قوله : ((لازمته بفاس سفرا وحضرا،قرأت عليه طرفا له بال من صحيح البخاري والشمائل وجمع الجوامع ونحو النصف من التلخيص والتحفة والمختصروالألفية ورسالة العضد برمتها، ومجالس فن التفسيير وصحيح مسلم وغير ذالك مماسمعناه من فن مجالسه)).

وبرجوعه الى موطنه مدينة آسفي انخرط في سلك العدالة، وتولى الإ مامة والوعظ والإرشاد وقد انخرط في الحزب الوطني- يومذاك -فعزل من العدالة ونفي الى الدار البيضاء حيث تعاطى للتدريس بها، وكان لا يفتر عن زيارة شيخه الى أن وافته المنية تغمده الله برحمته.

وللعلامة الكانوني كتاب نفيس في تاريخ أسفي أسماه « أسفي وما إليه قديما وحديثا «وله كذالك مؤلف عنونه «الرياضة في الإسلام»، ومؤ لف بعنوان «تراجم الرجال « ..وقد أهدى مؤلفه الأخير الى الحسن ابن الشيخ، وكان الإ هداء بخط يده كالتالي :

(( هدية من مؤلفه للفقيه الأديب النبيل أبي علي الشريف السيد حسن ابن شيخنا الإ مام الهمام ناشر اعلام السنة والدين أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الهنتيفي البيضاوي الجعفري النسب، كما يأذن مؤلفه للمهدى إليه في تحمل جميع مؤلفاته ومروياته .في 18 شوال 1356))

- **الأديب الشاعر محمد بن عبد القادر الدكالي**، تتلمذ على الشيخ ونبغ في دراسته، وبتخرجه احترف خطة العدالة بالدار البيضاء، وقد كان شاعرا مبدعا يرتجل

الشعر ويساجل به، وله في النثر قلم سيال.

- **الأستاذ محمد الضرباني الحداوي**، من أنجب تلامذة الشيخ وأذكاهم، وكان ملمّا باللغة الفرنسية، وقد ناظر غير واحد من أدعياء الصلاح والولاية بما أخذه عن شيخه وعلى رأسهم الفقيه الرافعي الدكالي، ونشرت مناظراته تلك بإحدى جرائد الدارالبيضاء تاريخذاك، وكان رجل تعليم بحق إذ أسس مدرسة تعليمية عصرية بالمدينة القديمة في أول عهد لتأسيس المدارس الوطنية بالدار البيضاء، وعمل على تطويرها أسلوبا وبناية، وقد أسما ها « المد رسة السنية»

- **الفقيه الحاج عبد العزيز الدكالي**،التحق بمعهد الشيخ من أول عهد له بالدارالبيضاء، وكان بقوة شخصيته المادية أن تزعم الطلبة، وقد أتخذ منه الشيخ ساعده الأيمن في قضاء مآربه وحاجيات الطلبة، كما كان يقوم نيابة عنه أثناء غيابه أو توعك صحته بخطبة الجمعة، ويوم ان لم يبق للمدرسة العتيقة رواد أسس الشيخ مدرسة حديثة سنة 1947 كلف الشيخ تلميذه هذا بإدارتهاالى جانب ابنه الحسن.تزوج أبنة للشيخ» وقد أنجبت منه ذكورا وإناثا منهم الأستاذتان جميلة ونعيمة مجازتان، والمستشارة بالمجلس الأعلى الدكتورة بهيجة، والسيد أبو بكر رجل أعمال...

- **الأستاذ عبد الغني خولان**، الطالب هذا من التلاميذ الأفاقيين قدم من إحدى القبائل الزايانية،ومن احدى أسرهاممن تتلمذوا وناصروا الشيخ بتلك الاصقاع أيام المقاومة، لازم الشيخ منذ نعومة أظفاره وأخذ عنه، وقد اشتغل بالتدريس بمختلف المدارس العمومية-تد ريسا وإدارة-الى أن تقاعد، تزوج احدى بنات الشيخ وكانت رحمها الله من النجابة الشأو الكبير، وقد ساعدت زوجها في معارفه .

- **العدل السيد أحمد السعيدي المضري** لازم الشيخ وأخذ عنه وكان يسمى» رحال»تبركا من والديه باسم الشيخ رحال ،وقد غيرالشيخ اسمه بأحمد ،كما فعل مع الكثير من تلاميذه ممن يحملون أسماء دفيني الأضرحة وأدعياء الولاية، انخرط في سلك التعليم الحر ثم تولى خطة العدالة، وقد عمل على نشر الوطنية وتنظيم خلايا الحزب بالدار البيضاء .

**- الفقيه العدل السيد محمد بلقانية**، من أجلّ تلاميذ الشيخ ومحبيه، وهو من البيوتات البيضاوية الكبرى، عمل في خطة العدالة.

**- السيد الحاج عابد السوسي**، وكان من خاصة الشيخ وملازميه انسلخ عن الدرقاوية، وناصر السنة ونشر افكار الشيخ وفتاويه وكان أكثر الناس عونا للشيخ في حياته المعاشية هو وشريكه الحاج محمد بلحاج العيسي وكان هذا الأخير أشد الناس تمسكا بأراء الشيخ ومن أ كثرهم محبة وتعلقا به.وقد انسلخ هوالآخرمن الطائفة التجانية.

**- السيد ابو بكر الحريزي**،كان صديقا حميميا للولد البكر للشيخ المرحوم السيد احمد، وهو من كان السبب في التحاقه بحلقات الدرس، واسمه الحقيقي العايدي تبركا من والديه باسم دفين ضريح قرية سيدي العايدي القريبة من سطات، لكن الشيخ لسنيته استبد ل اسمه من العايدي الى ابي بكر فلم يعد يسمى إلا به، نبغ في دراسته وحصل على قسط وافر من مختلف فنون المعرفة، وبرز خاصة في الأدبيات فكان يرتجل الشعر ويساجل أقرانه فيه، ومن ذالك نسوق للقارىء نتفا من مساجلاته : وزيادة في النقل الأمين، أنسخ حرفيا ماجاء في بعض كتابات سيدي أحمد الأ بن البكر للشيخ قال كنا مجتمعين، فقال بعض الطلبة هلموا نتساجل (وهم محمد بن عبد القادر وأبو بكر الحريزي والأخ احمد)وألزموني تواضعا منهم ان أفتتح ولم اكن أهلا، وكان بين أيدينا ديوان امرىء القيس فاشترطوا أن يكون المقول فيه:

فقلت: عليك بديوان ابن حجر الحلاحل

فقال أبو بكر: لكي تحتوي مابه و تفضل

فقال ابن عبد القادر: قتيل القياصر التي جل ملكها.

فقلت: دفين انقرا حين سُمّ من أغْرل

وزدت: رفيق فتاة من بنات ملوكهم

أبو بكر: وما دحهن دائما ومدلل.

وزاد: وعاقر ناقات لهن لتنجلي

ابن عبد القادر: سماحته ونزع كور محمل

وزاد: فأكرمهن بالشحوم التي غدت

فقلت: لهن كأنها مهور لقتل

فقالوا: رجوعا الى الديوان

فقلت: عكوف نصيحة على منهل القريض

ابو بكر: ولا تك مُنيتي عليه بمعزل

لكن التلميذ هذا اشتغل بالتجارة والفلاحة، وبقي على محبة شيخه وزيارته له

**- الأستاذ ابراهيم بنغزالة السرغيني :**

من أول رجالات التعليم العصري الوطني الحر، درس على الشيخ وابنه الحسن وأخذ عنهما، وأ لتحق أواخر الأربعينات مدرسا بالتعليم العربي الحر، فعمل معلما بمدرسة الفلاح ثم مدرسة المعلم أبي شعيب الأزموري ثم قضى بقية حياته الوظيفية في التعليم العمومي الى ان تقاعد، كما انتخب في فترة انتخابية عضوا جماعيا.

**- القاضي الحاج عبد الله السالمي** من الاصول البيضاوية، درس على الشيخ، وكان يعتز بمشيخته ويدأب على زيارة شيخه كل مناسبة عيد تولى القضاء بعد الإ ستقلال فلمع نجمه لعدالته وسداد أحكامه.

**-الأستاذ الموسيقار أحمد البيضاوي**، تتلمذ على الشيخ وكان نابغة في التلقي، ذا ذاكرة واسعة، وحافظة قوية جذبته الموسيقى فكان من أوائل المطربين، وألتحق بالقصر الملكي وترأس جوق الطرب، وله إبداعات موسيقية أدى أغلبها بلغة

عربية سليمة، وسئل صحفيا وإذاعيا عن فصاحة لسانه، فأجاب إنه بفضل دراسته المتينة للغة العربية لدى الشيخ.

ويوم أن تم توقيف الشيخ عن عقد مجالسه بالمسجد المحمدي كما سيذكر في باب (صلة الشيخ بالاحزاب الوطنية) أسلفت واستنجد الشيخ بالملك محمد بن يوسف وحضر لدى جلالته بالقصر بالرباط، ندبه الملك الى المكث ضيفا على القصر لبضعة ايام لكن البيضاوي التمس من فضل الملك أن ينزل الشيخ عنده لرد بعض دين تلمذته على الشيخ، فنزل فعلا ببيت البيضاوي لثلاثة أيام محاطا بالتبجيل والاكرام.

وكم من مرة كان البيضاوي مرسلا من السلطان سيدي محمد بن يوسف الى الشيخ لاستفتائه في نازلة من النوازل.

- **الأستاذ محمد الشاتي**، أخذ عن الشيخ وكان يعتز بتلمذته عليه، وهو من الرعيل الأول الذي عمل بالتعليم الحر إذ كان مديرا لمدرسة الفلاح ثم مديرا لمدرسة المعلم أبي شعيب الأزموري وهما من اول المؤسسات التعليمية العربية في المغرب المناهضة للفرانكفونية و السلطات الإستعمارية، كما كان من أقطاب الوطنية بالدار البيضاء.

- **الحاج عمر السرغيني**، تتلمذ على الشيخ باقتراح منه، وقد صاهره الشيخ بتزويجه ابنة أخت له، وكان الرجل شعلة متقدة في الوطنية ، خدم الحزب خدمة جلى، ويوم أن نفي محمد بن يوسف كان من أبرز من أوقد نار المقاومة بالدار البيضاء، وقد عرضه ذالك غير ما مرة للإعتقال والمعاناة وبإعلان الإستقلال عين قائدا لكنه سرعان ما اعتزل، وبقي على ذالك الى ان وافاه الأجل المحتوم .وقدصاهره الفقيه البصري بالزواج من ابنة للسرغيني،وله الولد سيدي عبداللطيف تقلب في العديد من الوظائف منذ فجر الإستقلال وكان من الرعيل الأول لمثقفي الشباب اذ تابع دراسته بانجلترا.

والقائمة طويلة وطويلة جدا، ولا يكفي مجلد في استقصاء اسمائهم و ذكر شذرات من حياتهم عدا من تتلمذ عليه شفويا من عامة الناس وهم كثيرون عن الاحصاء،

وقد نبغ فيهم العديد ممن بلغوا شأوا بعيدا في التحصيل، حتى انه لو سمع احدهم وهو يناقش في نازلة من النوازل لحسبته احد العلماء وكانوا الى جانب ذلك انصارا للشيخ يعضدونه ويناصرونه وينافحون عنه أهل الطرقية وسدنة الأضرحة.

## وطنياته

كانت و طنية صادقة، ومؤطرة بالأحكام الشرعية وخاضعة لها، وليست وطنية متحللة من كل القيود كما هو حال وطنيات الكثير من الشعوب المستعمرة أوالوطنيات الثورية،فمن جهة كانت وطنية الشيخ خاضعة للأحكام الشرعية،ومن جهة أخرى لم تكن ثورية متحللة من كل القيود في تحميس الشعب وإثارته بالتوهيم والوعود الزائفة والإفتراء على الشرع الحنيف، وفي هذا الصدد سأقتصرعلى ذكروقائع بارزة في حياة الشيخ تتجلى منها الوطنية الصادقة المتزنة المضبوطة بقواعد الإسلام وأحكامه ،فإليكموها مختصرة صادقة حكيمة شرعية:

-أول وطنياته قد فجرها فيه الإحتلال الفرنسي والشيخ في عنفوان شبابه،وناهيكم البلاء الحسن الذي بذله إبان المقاومةالحقة للإكتساح الفرنسي للبلاد الزايانية بُغية فرض الحماية، فقاوم بالحماس الذي يذ كيه في نفوس المجاهد ين وتذ كيرهم بما أعد الله للمجاهد من الشهادة ونعيم الجنة، وبإختراقه لصفوف المجاهد ين يهلل ويكبر ويرفع صوته بالأشعار الحماسية،وإمامته المقاومين في الصلوات الخمس، هذا جانب وجانب آخر ان كان الشيخ وتلامذته جميعهم مسلحين بالبنادق يهاجمون ويدافعون، وقد أصيب الشيخ في المعركة إحدى المرات كما أُصيب بعض تلاميذه ،وأُسر البعض ،فكانت لوحة مشرقة في حياة الشيخ في بداية مشواره، وكانت بحق حياة جهاد وثقافة لمحو الأمية والجهل والضلالات، وجهاد سلاح لمقاومة المستعمرالغاشم ،ويصدق فيهم القول حملة القلم والسلاح.وبمفهوم العصر كان الشيخ «عراب المقاومة».

-ومن أوليات وطنياته وهوبفاس،وقدآواه الشيخ عبد الحي الكتاني، لكن شيخنا في قربه من الشيخ الكتاني وإطلاعه على خباياه، أصبح الشيخ يعايش الكتاني مرغما خوفا من أن يشي به لدى الفرنسيين، وخاتمة المطاف أن عرض الكتاني على الشيخ

الوساطة بين الفرنسيين وباقي رجال المقاومة الزايانية ، ومن يومذاك انكشفت حقيقة شيخ الطريقة فوطن شيخنا نفسه للبعد عن شيخ مسلم يدعي الصوفية والعلم ويتعاون مع الكفرة المحتلين ،وكان منه رد فعل حاقد لفراق الشيخ له والبعد عنه ، فكم من مرة وشى به الى الفرنسيين بأنه من ثوار زايان ومن دعاة الوطنية وفي أثناء الأزمة بين القصر الملكي والإقامة العامة سنة 1953 ،وجدها فرصة، وما كان منه إلا أن وشى بالشيخ لدى سلطات الحماية، على ان شيخنا سبقه في سياحته لتنبيه الناس ونشر الوطنية بينهم، وإفساد فقرائه عليه وأنه من مقاومي زايان-سابقا-وانه هووشقيقه أبعدتهما السلطات من خنيفرة لوطنيتهما.ولكن الله سلم، «إن الله يدافع عن الذ ين آمنوا» وقد سبق ذكرالوشايات الحاقدة التي كادت احداهاان تعصف بشيخناالى المنفى لكن الله سلم، وللعبد رب يحميه.

-ويوم أن استشرى أمر المؤامرة وأخذت الوفود تتقاطر على القصر الملكي للتوقيع على عرائض مساندة ملك البلاد واستنكار ما يبيته الخونة بمعية الإقامة العامة،كان الشيخ ممن قصد القصر من الدارالبيضاءالى الرباط في ظروف جد مخوفة، إذ كان الفرنسيون يتربصون بالوافدين، فما توانى الشيخ ولاخنس، وكان طيلة الرحلة لايفتر لسانه عن الحسبلة وذكر اللطيف.

-وفي الإعداد لنفي الملك محمد الخامس والعمل على استقطاب الجموع لتنفيذ المؤامرة الدنيئة،ومن ضمنهم علماء السوء،بعث الباشاالكلاوي الى شيخنا برجل من خواصه يدعى الحاج هشوم يطلب الشيخ الحضورإليه بقصره بالدار اليضاء،فأبى الإستجابة للحضور لديه متعللا بتوعك صحته،وبعد مابلغ الباشا اعتذار الشيخ عاد الرسول الى الشيخ بأن الباشا يستأذنه في الحضور شخصيا الى بيت الشيخ، وعند هذاالحد لم يبق له من عذرالا أن يفصح عن أنه رجل علم ولا دخل له في السياسة،وطلب اعفاءه من الحضور لديه،وكان هذامنه سلوكاوطنياحكيما ومن باب حسن التخلص.

ومن وطنيته أن كان دوما في مجالسه وخطب الجمعة مراقبا من مخبرين مغاربة كانوا في خدمة الشرطة الفرنسية السرية، وقد قيض الله له واحدا منهم كان في أول عهده

بالدار البيضاء قد جاء به أقاربه الى الشيخ ليلتحق بحلقات الدرس لديه، فأرجأ لإقتناء كتب الدراسة و سماها له، وبعد فترة التقى الشيخ بالقريب فسأله عن التلميذ فأجاب الرجل الشيخ بأن لم يبق فيه فائدة فقد عاشر السفلة ولم يعد يفارق «الحلائقية»، إذ اصبح »بياعا« أي عينا من عيون المخبرين الفرنسيين قبل أن يصبح موظفا لديهم مخبرا، فلهذه الصلة وللإحترام التي تكنه أسرته للشيخ كان كلما أُمر بشيء يخص الشيخ إلا وجاء إليه لتنبيهه حتى يتخذ احتياطاته.

## - صلته بالاحزاب الوطنيـة:

لعل الشيخ أسدى الكثيرللوطنية، إذ كانت دعواه الى نبذ الخرافات والخزعبلات قد رفعت الغشاوة عن أعين الناس، وكان يربط ذالك بتأخرالمسلمين وما تجرُّؤ المستعمر على اكتساح البلاد إلالمّا عمّها الجهل وتعلقت بالكرامات الخرافية، وكان يضرب لذالك المثال بأفعال بعض أدعياء الصلاح والقطبانية، ويستدل بالكثير من المعطيات أن بعضهم كان عونا للكفار،[12] وغيره كثير مما كان تربة خصبة لإقبال الناس على دعوة الأحزاب،سيماوقد جعلت من السلفية منطلقها، فكان الكثير من تلاميذ الشيخ نواة تكوين الأحزاب في الدارالبيضاء وفي غيرها فمنهم مسيرون ومكونون لخلايا حزبية، وكان بعضهم من المقاومة بعد نفي الملك محمد بن يوسف وأتحاشى ذكر أسمائهم لما صدر عنهم في حق الشيخ.وقد أبى هؤلاء التلاميذ على الشيخ إلا أن ينخرط في الحزب فكان يمتنع عليهم ويحاجهم بأن العالم أبعد الناس عن التحزب والتحيز ،لأنه للجميع ومع الحق أينما كان ومع من كان، أما إذا أدخل الشرنقة فما عليه إلا أن يُفتي للحزب بما يريده ولا يعارضه، وهو دأب كثير من العلماء ممن دجنتهم الأحزاب، فلم تعد لهم شخصية مستقلة حرة بل أ صبحوا بوقاللحزب فيما يوافق احكام الدين وفيما لا يوافق.

---

(12) وهذه احدى شهادات شاهد من أهلها، وهو ديبلوماسي فرنسي يدعى «ايتيان ريشيت» قام برحلة الى المغرب أيام المولى عبد العزيز قال عن أحد أقطاب زاوية مشهورة : «والشريف ... أكبر الأبناء الخمسة لحليفنا الذي توفي سنة 1892 وكتاني شخصية في الإمبراطورية بعد السلطان، وكان يسخر من السذج الذين يقبلون أطراف ثيابه وقد عمد إلى التقرب من الأوربيين...وتفاقم التذمر حتى أقبل على تطليق زوجاته وعزمه على الاقتران بإنجليزية... فلم يجد بدا من الاحتماء بفرنسا التي تقبلته.»

وقد كان للشيخ علاقة طيبة بحزب الشورى والإستقلال ويدعى من طرفه لكل تظاهرة يقيمها كحضوره تدشين مدرسة الامير مولاي الحسن، وكانت جريدة الرأي العام تُرسل للشيخ مجانا، وقدكتب عن ترجمة الشيخ الأستاذ إدريس الكتاني وهو من أقطاب الحزب يومذاك.

وقد كانت للشيخ علاقة حميمة بحزب الإستقلال وبالكثير من أقطابه ممن تتلمذوا عليه، أوكان ممن حضر مجالسه من المناصرين للدعوة،ولئن كان الحزب قد بنى دعوته على السلفية فقد كان الشيخ من اكبر الدعاةإليها، غير أن الذي أفسد هذه العلاقة هو أن اقطاب الحزب كان ديدانهم يومذاك أن لايرضوا عن أحد إلا إذا انخرط في الحزب، أما المعارض اومجرد محايد فينعت بالخيانة ويشنع عليه سامحهم الله، سيما والشيخ كان لا يغض الطرف عما يكون منافيا لشريعة الإسلام، فعلى سبيل المثال كانت له في مناصرة الحجاب مناظرات مع علماء الحزب، ويحضرني بصدده أن جمع الحزب على الشيخ علماء الحزب للمناظرة في شأن الحجاب، فدارت المناقشة على أشدها بين الطرفين، وفي آخر المطاف ختم الشيخ كلامه بالقول اتقوا الله في نساء المغرب وما ستجرون عليه من بلايا بتفرنج المرأة وتبرجها، وباللهجة العامية قال: »الله يجرّبْكم» فكان أحدهم وقد بعث ببنته للدراسة بفرنسا أن خاللت مسيحيا، أما ثانيهم فقد خاللت ابنته أحد وزراء اول عهد بالاستقلال ورافقته في سيارته وقد انقلبت بهما السيارة وكانت فضيحة استحيا لها من بقيت فيه حمية وغيرة.

وأذكر وأنا غلام رافقت أخي الحسن وقد أمرنا والدنا الشيخ لحضور أحد التجمعات على الزعيم سيدي علال الفاسي إثر رجوعه من منفاه، وكان التجمع بدار بنفلاح بالمدينة القديمة، وتقدمنا من الزعيم معتذرين عن عدم حضور الوالد شخصيا، فما كان من الزعيم الا أن قال أنا من يجب علي زيارته، وفعلا فبعد أيام، زار الزعيم الشيخ في بيته زيارة حميمية من عالم لعالم، وخرج لزيارة مدرسة السنة وكانت في طور البناء وهي المدرسة العصرية التي أسسها الشيخ بعد انفراط المد رسة القديمة في نمطها التقليدي، كما تعددت زيارة الشيخ محمد بلعربي العلوي، للمذاكرة في العديد

مما يشغل أهل العلم يومذاك وقد كانت لشيخنا دعوات على ان تُبنى الحزبية على مقاييس إسلامية حتى يباركها الله من عنده ،فيستنكر أن كيف تجتمع جموع الحزب الكبراء منهم والعاديون لفترة ينفرط معها وقت الصلاة ولا من يقوم لها، وأن كيف ونحن نعاني من العمل على محاربة المعتقدات الخرافية، فإذا بالحزب يصطنع كل فترة وأخرى أكذوبة أوخرافة تعود بالعقول الى التخريف والتوهيم، فمن اكذوبة أنه بمجرد الاستقلال فسينال كل فرد مغربي 3000 فرنك يوميا من ريع بيع الفوسفاط، الى التوهيم بأن صورة محمد بن يوسف متجلية في القمر، وقس ما قيل على ما لم يقل، بل يريدها سياسة حزبية مثالية تلتزم شريعة الاسلام لا افتراء فيها على الدهماء ولالجوء فيها الى وسائل تضليلية واستغلالية لبساطة الناس.ومن أجل استقطابهم...

ومن الخلافات أن كان مجلس الدرس للشيخ بالجامع المحمدي اكبر مجلس لما يجتمع عليه من خلق، وكان كلما زار الشيخ محمد بلعربي العلوي الدارالبيضاء إلا وطلب الحزب من الشيخ أن يخلو له الجامع لينفرد بمجلسه، فكان يرحب بذالك ويتخلى للشيخ العلوي، غير أنه في بعض المرات يقدم الشيخ المكي الناصري وهو يومذاك زعيم حزب الوحدة بطنجة الى الدارالبيضاء وحتى يقيم مجلسه بذات الجامع يطلب من الشيخ ان يسمح له بالانفراد بالجامع، فكان الشيخ لا يتردد في السماح له كذالك.

وهذا ما أثار حفيظة الحزب بتحريض الشيخ على عدم السماح له بذالك، فتساءل الشيخ هل الشيخ الناصري دون الشيخ العلوي، فالعلماء اسرة واحدة ولا يليق بي التمييز بين هذا وذاك، وتلا هذا ان شنع الحزب على أن الناصري جاسوس، وقد زارالشيخ المكي شيخنا في بيته ودارت بينهما مذاكرات في شتى الجوانب وهذا ما زاد الطين بلة في علاقة الشيخ بالحزب، وألّب عليه تلاميذه ممن تحزبوا فتآمروا عليه وكادوا له وجازوه جزاء سنمار، وذالك منهم رغبة في تحزب الشيخ ورعيا لمصالحهم في الحزب، سامحهم الله.

أعلمـه الرماية كل يوم****فلما أشتد ساعده رمانــي

وكم علمته نظم القوافي ****فلما قال قافية هجاني

وكم عانى غيره من الخلافات الحزبية والإجهاز والتخوين على من لم يتحزب[13]

هده شهادة شاهد من أهلها الاستاذ عبد الهادي بوطالب في كلمة بالمؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة 1956 قال عن تلك المرحلة :

...... وعن الجو المتعفن الذي ساد المغرب.... بالاتحاد ونبذ الحزبية المقيتة وتناسي الاحقاد الماضية.

ورغم هذا فكان يسمع عن الشيخ وهو يدعو في سجوده : ربي لا تؤاخذ أحدا بذنب اجترمه في حقي، ولم يسمع عنه قط أن قال في أحدهم قولا شائنا، فما أن يسمع عنهم اذاية إلا ويجأر بالحسبلة وبالقول سامحهم الله، وتلك الاخلاق الحقة للعالم الحق.

وكانت وطنيته لا تخلو من دروسه، ولكنه لم يكن رجل سياسة يعتمد التحميس واثارة المشاعر بأسلوب الضرب على الوتر الحساس، وبطرائق ديماغوجية لا غرو في أن تكون صحيحة أوكاذبة، جدية أو غيرجدية، أو تكون تغريرية ومغرضة واستغوائية ...الخ بل الذي كان يعتمد ه مرتبطا بمهمته بصفته عالما اسلاميا يعتمد الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة ولا تأخذه في الله لومة لائم، اذ كان يرمز في دروسه الى كفاح المستعمر في سلسلة من الاحكام الشرعية دون تحديد أوتعيين، فمثلا في أحكام جواز قتل المهاجم المعتدي شرعا يمثل بالشرطي الذي يهاجمك من أجل منعك من عرض بضاعتك، ويعتدي عليها بالشتات والإفساد، فأنت إن قاومته فقُتل فدمه هدر، ومثال آخر في استنهاض الهمم يأتي في تفسير الآية الكريمة «وأن الأرض يرثها عبادي الصالحون»

(13) هده شهادة شاهد من أهلها الاستاذ عبد الهادي بوطالب في كلمة بالمؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة 1956 قال عن تلك المرحلة :

...... وعن الجو المتعفن الذي ساد المغرب.... بالاتحاد ونبذ الحزبية المقيتة وتناسي الاحقاد الماضية.

ويضرب المثل بالأمم الغربية وما بلغته من شأو في الصناعات والمخترعات وإصلاح الأرض وبذالك ورثوا الأرض وأستعمروا العالم، بينما نحن تخلفنا وأفسدنا الدين والدنيا فها أنتم ترون مصيرنا ثم نبتهل الى الله أن يصلح حالنا، كما كان في إنتقاده لمشايخ الطرق ينعي على بعضهم موالا تهم للنصارى يعني به المستعمرين ومساعدتهم على حساب إخوانهم المسلمين، وأذ كروأنا لما أبلغ الحلم أن دعاني الى القدوم إليه بفهرست إجازات العلماء له بأسانيد رواية الحديث وكان من ضمنهم الشيخ الكتاني، فاستكتبني مامعناه أنه أستجازه لما كان يعتقد فيه من صلاح وتمسك بدينه وأنه الأن لما ثبت عنه من خيانات ومن خروج عن بيضة الاسلام فهو مطعون فيه شرعا. .فالوطنية نبعت من بيت الشيخ وليس أكثر من ضربه المستعمر في أهم وسيلة من وسائله، وهم مشايخ الطرق وسد نة الأضرحة، وما كان منهم إلاّ متعاونا إما ظاهريا أوخفية،أومن مجرد تبليدهم للشعب بترهاتهم وأراجيفهم، وكان المستعمر يحميهم ويجمع لهم الجموع ويقيم لهم المواسيم، ويكفي أنهم يخدرون الشعب بترهاتهم وخرافاتهم وتتبيطهم عزائمهم بالاستسلام والخنوع. وفي ظروف الفوضى العارمة التي عمت المغرب من أهله بالسيبة وبالمستعمر المكتسح للبلاد فقد قاوم بسلاح الوعظ والارشاد والتوجيه، وبسلاح البندقية والرصاص هو وتلاميذه وأهل بيته، ورغم الاستسلام أمام قوة المستعمر وخيانات المدجنين، بقيت شعلة الوطنية تتأجج في الصدور، وليس الشيخ فحسب بل شقيقاه ايضا، فأليست هذه وطنية صادقة ومقاومة حقة.

والخلاصة أن وطنية الشيخ وطنية إسلامية تؤطرها أحكام الإسلام وأخلاقه ، فكان يريدها مقيدة بالشريعة الاسلامية، وليست وطنية متحررة من كل القيود كما هو الحال في بعض الثورات والمقاومات العالمية أو بعض الوطنيات في دول غير إسلامية كانت مستعمرة، وإلا في نظره لن يبارك الله وطنيتنا.ويصح القول في أن الشيخ كان في بعض جوانب وطنيته متشددا، إذ أبان عن كراهية للمستعمر أن كان يحرم التشبه بهم حتى في خصائص ألبستهم، وألف في ذالك كتابه إرشاد الحيارى في تحريم زي النصارى «وهذا ما ألب عليه بعض المتحررين فكان رحمه الله يعقب أن ياسبحان الله إنه مقبول منهم أن يصدر هذا عن غاندي وهو يتجرد من ألبسة الانجليز ويلبس نسيج

بلاده، ويستشهدون في إكباربوطنيته تلك في مجالسهم ومجامعهم، ولا تقبل من عبد الرحمان، وهو كما تقول الامثال العامية المغربية «(دباغ الترعة ما كيدبغش)».

وناهيكم، بما حصل من السلطات الإستعمارية من أجل مضايقة الشيخ، وقد سلطوا عليه دعيا للعلم جيئ به من مدينة سلا وكان عميلا لهم يدعي العلم والصوفية وعينا مدسوساوقد زودوا داره بالهاتف، وكان يومذاك لا يتوفر عليه إلامن رضوا عنه، كما كان يحصل منهم على (كوطات) الاسمنت والحديد يتاجر فيها، ويوم أن قدم المستعمرون بجملة من قواد المغرب لمحاربة المقاومة بالدار البيضاء، كانت عمارة الفقيه مقرا لقائد منهم ومسلخا للوطنيين وبها أسلم الروح تحت التعذيب صهر للشيخ وأحد أخص تلاميذه، وهو السيد عبد الرحمان السرغيني رحمه الله، وقد بثوا هذا المخبر العميل في المسجد المحمدي يقيم دروسه الى جانب مجلس الشيخ، ويعمل على مضايقاته ولم يكن همه إلا الرد على الشيخ والتشويش عليه، وهذا ما أدى إحدى المرات الى المشادة إذ تجرأ هذا الدعي العميل على الشيخ، فأشتبك أنصار الطرفين فيما بينهما، ونجح العميل في توقيف مجالس الشيخ من طرف السلطات، لكن الشيخ أستنجد بالملك سيدي محمد بن يوسف، فناصره وأمر برجوعه إلى مباشرة دروسه، وخسئ المبطلون

وكانت له علاقة طيبة بسيد الوطنية الصادقة المبرْهَن بها، والمراهَن عليهابعرش المُلك سيدي محمد بن يوسف،فكم من زيارة قام بها الشيخ للملك في اجلال وإكبارمن جلالته،وكم من حفلات بالقصراستدعي لها،وكم من مناصرة للشيح تلقاها منه، وقد حضرالملك صلاة الجمعة بالمسجد اليوسفي في موكب رسمي ،وفي أوج احتدام الصدام بين الوطنيين وسلطات الحماية،وكانت خطبة الجمعة من الشيخ آية في الوطنية وغاية في النصح.ويوم أن عمد ت السلطات الإستعمارية ومن ورائها أذنابها من القواد وعلماء السوء على إبعاد الملك، لم يتردد الشيخ في حضور تجمعات الولاء بالقصر الملكي ضدّاً على تكتلات قوى الشر، وكان ذالك باقتراح من حزب الإستقلال، وقد أقدم الشيخ على المغامرة رغم ماكان عليه الأمر من خطورة من طرف البوليس السري

الفرنسي الذي كان يضرب طوقا على القصرويستخبر عن القادمين الى الرباط من كل الطرق المؤدية اليها.

وغيره كثير من المواقف الوطنية المتميزة والرزينة وغير المتحيزة، التي انتهجها الشيخ من غير إعلان أو مباهاة أو تحيز، إيمانا منه بأن الخلاف عن تدبّـر وحكمة ونية صالحة هو رحمة بين العباد.

## النـزع الأخـير

في أوائل الخمسينات أصيب الشيخ بمرض السكري، وقد تولى تطبيبه منه طبيب فرنسي كان هو المختص الوحيد يوم ذاك بالدار البيضاء، كما أصيب بمرض النقرس وقد عانى من آلامه الكثير، ولـم يتـوان في معالجته لدى المختصين في أمراض الروماتيزم، وأصيب أثناء الفترة تلك بعدوى مرض السل والمقرر فيه لدى المختصين أن لاعلاج منه لمتقدمي السن، سيما وحقن البنسلين، حديثة العهد بالاكتشاف، وكان مفعولها لايتجاوز ثلاث ساعات، ورغمه فقد توصل الطبيب المعالج الى علاجه منه، وكان الطبيب الفرنسي عضوا مراسلا لأكاديمية الطب الفرنسية، يراسلها بتقاريره،ومنه مايخص الشيخ على أنه توصل الى علاج مسن والشيء بالشيء، اذ أستطرد واقعة طارئة يتبين منهاكذالك تنظير الشيخ للأمور، وذالك أن كان الممرض الذي يحقن الشيخ»بالبنسلين «كان حاضرا ببيت الشيخ من أجل ذالك، فإذا بشخص من الباعة المتجولين يمر بالزقاق ينادي على بضاعته ، وكعادة الاطفال في شقاوتهم وهم يعاكسون وقد تجرؤوا فاذا بالرجل يصيح فيهم بسّب دينهم وملتهم لما تعرض له من شقاواتهم، فما كان من الشيخ الى أ ن أخذ في التعوذ بالله من أقوال الرجل، حينذاك سأل الممرض الشيخ ما حكم الله في الرجل؟ فأجابه بان عذابه ربّـما أشد من عذاب مخترع البنسلين الذي رحم البشرية جمعاء، فحاشا أن لاتناله رحمة الله من أجل ذالك، وأعوذ الى الاشارة بأن للشيخ مؤلفا في الخلود الأبدي المطلق للجنة والخلود المقيد لجهنم ،

وفي أوائل الستينات أصيب بمرض الحصر فعانى منه أشد العناء الى حين وفاته..
وبالاضافة الى تلكم الأمراض المزمنة، فقد كان ضريرا لعقود من حياته وباشر العلاج في ذالكم التاريخ من الثلاثينات، فلم يفلح الأطباء في علاجه، غير أنه بتقدم الطب، وخلال الخمسينات كان كلما زار الشيخ طبيب العيون لعلاج الرمد أو بعض حساسيات العين إلا وأقترح عليه إجراء عملية مضمونة النجاح في إعادة البصر إليه، فكان رحمه الله يمتنع رغم الإلحاح عليه من أهل بيته، قائلا لم يبق في عمري كثير فدعوني هكذا فلعل الحاسة الوحيدة التي منعها الله من فعل الذنب تكون الشفيعة لي يوم القيامة عند الله فيما يكون قد اجترمته الحواس الأخرى، كل هذه الأمراض المضنية والمؤلمة أحتسبها الشيخ كفرانا للذنب، وصبر وصابر رغم طول المدة، وقد أقعسته عن إقامة حلقات التدريس وخطب الجمعة، التي كانت مهمته التي لايرضى عنها بديلا، ورغمه فما كان سلوانه عن المرض إلا كما قالت الحكمة «يموت المرء على ما عاش عليه» فكان يزوره بإ نتظام بعض خاصته، وأحيانا بعض أنصاره للمذاكرة وتجاذب أطراف الحد يث، فكان يجد في ذالك أكبر سلوان له عن المرض، فتراه يناقش ويحلل ويعقب ويرد و....دون ملل أوكلل ،حتى إذا خرجوا من عنده عاد لحاله يئن من المرض وضغوطه، ويدعو الله الفرج، وكان كذالك من سلوانه عن المرض أن لم يفتر قط عن إملاء كتاباته، فكم من مؤلفات ألفهاوهو على فراش المرض، لم ينقطع عن ذالك إلا قبيل وفاته ببضعة أيام فقط.

وأمام إشتداد وطأة الأ مراض عليه وآلامها المبرحة لم يجد إلا أن يضرع الى الله تعالى في أن يأخذه إليه. و كلما دخل عليه عواده رجاهم أن يتوجهوا معه بالدعاءالى الله في أن يعجل بوفاته، فاللهم في الرفيق الأعلى، وهذا ما جعل بعض العلماء يردون عليهبعدم جوازتمني الموت، فجرد قلمه في التعقيب عليهم بمؤلفه المذ كور «الحياة والفوت فيما هوالحق في تمني الموت» وأتذكر في هذا الباب أن أشتدت وطأة المرض عليه يوما وهويعاني في صبر وجلد فأخذت أبكي الى جانب سريره فتوجه إليّ بالسؤال أن لماذا أنا ابكي ؟ فقلت أبكي ضارعا الى الله تعالى أن يطيل عمرك، فقال لي: أتطلب المستحيل وغير المعقول، فهل الله تعالى : سيغير في عمري لوحدي سنةالخلق، فهل سيعيد لي شبابي

وقوته وأنا قد جاوزت الثمانين، فحتى إذا مازاد عمري فلن أزيد إلا شيخوخة وأن أتردى الى أرذل العمر، تعذبني آلام الأمراض وتنخر جسدي، ومع ذالك تفرح لعذاب والدك لأنه حي يرزق، فهل من العقل أن يفرح المرء لعذاب من يحب ،فعليك ياولدي أن تزن الامور بميزان العقل لا بميزان العواطف، ومن الأصوب ان تدعو الله مع والدك ان يعجل له بالفرج، وليس هو إلا لقاء الحبيب لحبيبه وقد غفر له وأكرم متواه إن شاء.

وحدث في نوبة من نوبات الاحتظارأن اراد أحد الاصهار أن يجرب الشيخ في كونه لايزال مسيطرا على إعمال قواه العقلية، فعرض عليه مسالة يستفتيه فيها، فأخذ الشيخ يعرض في شأنها أقوال العلماء فيصوب هذا ويد حض ذاك وأعطى فتواه فيها، وعقب بعد ذالك على السائل أن قال ليس الوقت وقت هذا .

ولما كان عليه الشيخ طيلة حياته داعية للسنة وكانت فائدة العلم العمل به، وكذالك كان في حياته مع نفسه ومع ذ ويه ومع الناس ، فهو وقد قرب أجله لم يرد أن يكون حتى عند تجهيز جنازته وتشييعها إلا كما كان قبل على الكتاب والسنة فجمع أولاده عليه، يوصيهم باتباع السنة في دفن الجنازة ، فكانت الوصايا هي التالية:

-ألا تعلنوا عن وفاتي ولا تنتظروا بالدفن أحدا بل عجلوا ما أمكنكم ذالك

- أن تسيروا بالجنازة في صمت ودون تهليل.

- أن لا تدفنوني إلا في مقبرة عامة الناس، ودون تمييز ولاتخصيص، وإنما بين عامة القبور.

-ألا تدعوا أحدا يخطب على قبري مؤبّنا.

- ألاتقيموا علي أربعينية كما اعتاد عامة الناس، بل دعوني ألقى ربي بما أسلفت، فلا تزيدوني ذنبا على ذنب

- ألا تبنوا على قبري وكل ما تفعلوه أن تضعوا شاهدا من أجل التعرف على القبر وزيارته للذكرى والترحم إن شئتم.

- وألا تكتبوا على قبري إلا ما أمليه عليكم، فسجلوه لديكم :

هذا قبر الراجي عفو مولاه وإكرام ضيافته حينما أرتحل إليه وخلّف دنياه كما أسبلها عليه، لا زاد له منها إلا ذالك. عبد الرحمن بن محمد النتيفي

فلا تكتبوا سيدا فعلى من أكون سيدا وكلنا موتى لا سيد ولا مسود، ولا الفقيه فمن قال أن كنت أفتي عن غير محجة بيضاء فتحملت وزري ووزر من أفتيت، ولا الحاج فمن أنبأنا بأن الله قبله القبول الحسن.

ففي تلكم الليلة الحزينة والشيخ يحتضر تجمعت الأسرة بخزانة كتبه الواسعة الأثيرة لديه، وهي كانت مبيته وخزانته وملتقى ضيوفه وعواده، وكنا طيلة الوقت نتلو القرآن الكريم وهو ممتد على فراشه هادئا يصارع الموت، ودون تشنجات أو أنين أوآهات ولكن في استسلام وصبر وجلد وفي غير حراك ولم يفقد وعيه قط، ولا افتقد الكلام، وبينما نحن نتلو وقد بلغت بنا التلاوة إلى آخر أية من سورة «يس» .حتى لاحظنا أن الشيخ رفع يده الى اعلى، فظننا أنه يريدنا التوقف عن التلاوة، فتوقفنا تماما عند الوقفة الأخيرة « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون « فتقدم بعضنا الى الشيخ ليستطلع الأمر، فإذا به يجده قد أسلم الروح الى باريها، فأجهش الجميع بالبكاء وما ملك أحدنا عواطفه، وأثناء ذلك سمع أحدنا من جهة فراش الشيخ قولة الله أكبر جهرا، فسكت الجميع ظنا أن الشيخ لا يزال حيا يرزق، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فعجب الجميع للصوت المكبر ممن يكون قد أتى. « ولله في خلقه شؤون»

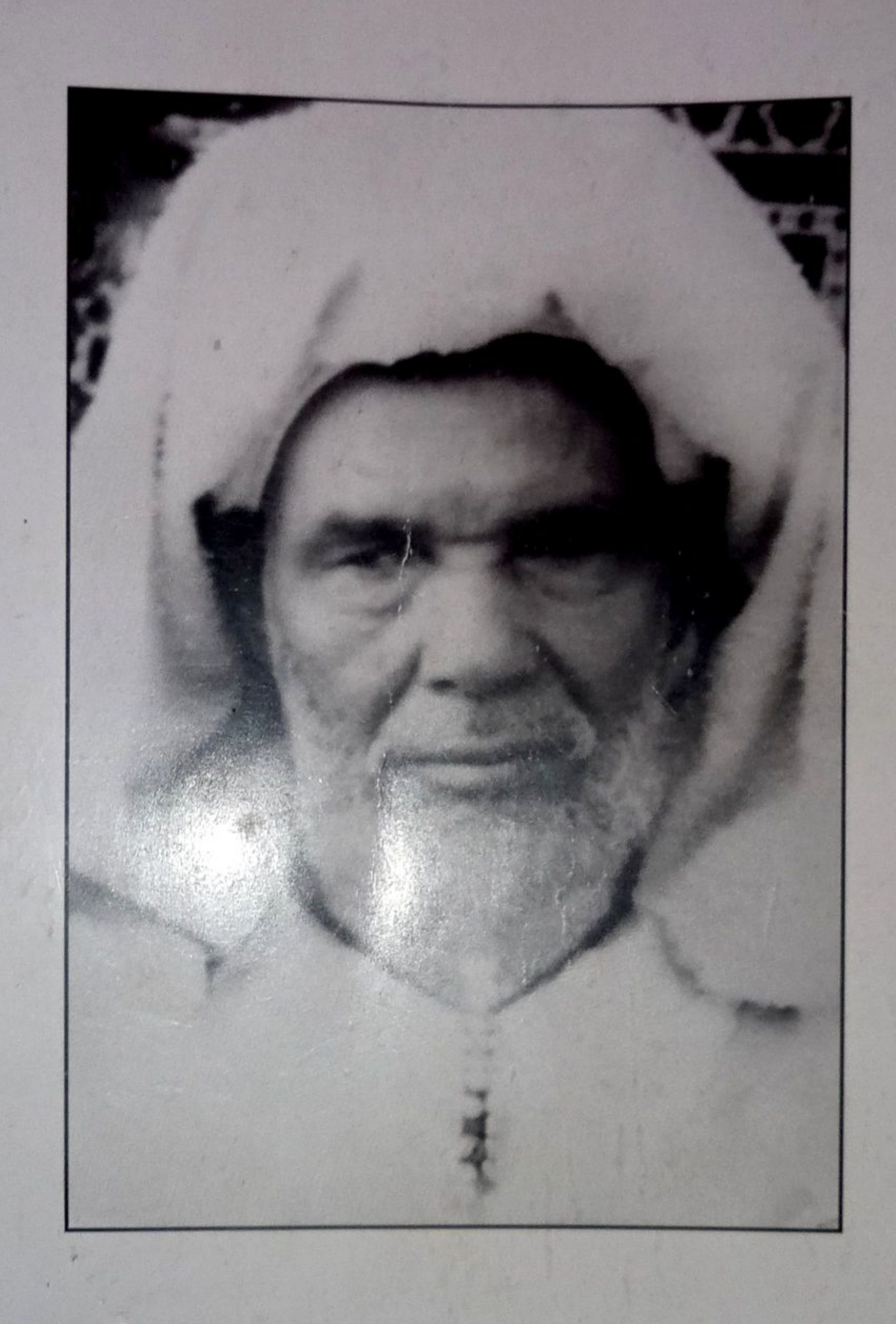
وكما أوصى، فقد شيعت جنازته في منتصف النهار فتجمع لها خلق كثير من المشيعين، وكان تشييعها في محفل رهيب صامتا تخيم عليه الهيبة والوقار والتأمل كما منع أولاده بعض العلماء من تأبينه بالمقبرة تنفيذا لوصيته، ولم يخصص قبره، ودفن في مقبرة عامة، وما كتب على شاهد القبر إلا الكلمات الموصى بها، كما أن تأبين الأربعينية لم تُقم قط، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء 23 ذي القعدة عام 1385هـ موافق 15 مارس سنة 1966م

وتحضرني واقعة روحية مما كان يجمع شيخنا بمحبيه وتلامذته وأنصاره، فهذا محبه

الحاج محمد بورفايس من ساكنة أحواز الدار البيضاء، وكان متفانيا في محبة الشيخ ومن خاصة أنصاره، وبعد وفاة الشيخ يوم ثلاثاء دأب المحب على زيارة قبره كل ثلاثاء من كل أسبوع، وفي يوم ثلاثاء من فصل الشتاء وكان يوما عاصفا تقاعس المحب هذا عن الزيارة، وغفا نائما تحت شجرة من جنان في أرضه، ومن أن غفا حتى وقف عليه الشيخ مناما، قائلا: لئن لم يتيسر لك أن تأتي لزيارتي فهاأناذا قدمت لزيارتك فأجفل النائم واستيقظ، وكان قد لاحظ أن الشيخ كان في عمر الشباب، ويرتدي لباسا ناصع البياض، غير أن برنسه( السلهام) لطخته بقعة صغيرة وسخة، وقد بادر المحب هذا الى عربته المجرورة بحصان ليمتطيها ويسرع توا الى المقبرة، فجلس الى القبر في خشوع وتأمل يتلو سرا ما حفظ من كتاب الله ويدعو بصالح الأدعية كعادته، وبينما هو على ذلك إذ علق نظره بنصب معلمة (الشاهد) القبر، وقد لطخه سلح طائر ما كان قد أحط على الشاهد، فأقدم الرجل على تنظيف الشاهد من اللطخة تلك، وأولها بأنها بقعة الوسخ التي لاحظها على البرنس في المنامة، حتى لكأن لسان الحال دعاه لتنظيف نصب القبر.

وهكذا انتهت هذه الحياة الحافلة بالمكرمات، والعامرة بجليل العطاءات، فمن جهاد السلاح وجهاد الضلالات الى جهاد التفرنج والتغريب، كل ذالك جرى احتسابا لوجه الله تعالى في غير افتخار ولا إعلان، رحم الله فقيد الإسلام وأجزل له الأجر والتواب، إنه سميع مجيب.

# الفهرست



رقم الإيداع القانوني 47 04 2011 MO